

تمهيد

كانت أوضاع الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي تتميز بالاضطراب، و العنف المستمرين، وكان السبب في ذلك كله يتمثل في الاستعمار الفرنسي، وجبروته و، وطغيانه، وظلمه، إذ أن هذا الاستعمار هو محور الاضطراب السياسي. كما كان السبب الأول في قيام الثورات العسكرية المتعاقبة في الجزائر، وكذلك في استثارة النفوس الأدبية، فقد عمل هذا المستعمر على إغلاق المساجد و تحويل بعضها إلى كنائس أو مؤسسات عامة، أو أملاك خاصة. أما المدارس التي كانت هي أيضا مصدر إشعاع للثقافة العربية الإسلامية، تحولت إلى أطلال.¹ كما قام بانتزاع أخصب الأراضي من الشعب الجزائري و تسليط الضرائب عليه و التسبب في انقسام المجتمع الجزائري إلى طبقات و هجرة البعض إلى الخارج، و انتهاك حرية الشعب.

و مما لا شك فيه أن المستعمر كان لا يجهل أن العلم سيف قاطع، فإذا تسلح به الجزائريون استطاعوا مقاومته، فسعى إلى تجهيل الأمة الجزائرية و إبعادها عن تراثها الفكري و تحطيم المقومات الأساسية في مجالات التعليم و الثقافة ، و الصحافة ، و الأدب و اللغة العربية، فلا يعرف الجيل الجديد العوامل الحية، و الكيان الجزائري العربي الإسلامي، فيسهل عليه فرنستهم ، لذا عمل على فتح أبواب المدارس في وجه الجزائريين، لكن التعليم كان فرنسيًا ، ولم يكن القصد في ذلك التعليم استجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم ، و إنما تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية.²

1- محمد قنانش: المواقف السياسية بين الإصلاح و الوطنية، د ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص15.

2- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص5.

و هكذا حطمت جميع معالم الشخصية الجزائرية بتحطيمها للغة العربية ، التي هي أداة للثقافة و الحضارة، فلم تجد الثقافة الإسلامية مأوى إلا المساجد و لكنّ هذا البصيص من الثقافة الإسلامية اخذ نطاقه يتوسّع شيئاً فشيئاً ، و بمساعدة التيار المشرقي صار نبراساً ثقافياً أضاء للشعب طريقه إلى نهضته المباركة المتّصفة بذلك الكفاح المرير، فتكتلت المجهودات و ظهرت الجمعيات و دورها الإصلاحي و قامت الطبقة المثقفة تقاوم الاستعماري بالقلم .فسجّلت فضائحه التي قام بها ، و كان الكتاب يعبرون عن الأوضاع التي عاشوها و ، و عن معاناتهم من أجل إيصال قضيتهم إلى الرأي العام.¹

وعليه فقد ولد الأدب الجزائري حاملاً بذور الثورة ، والحرية مدافعاً عن القيم الإنسانية في مفهومها العام، و في هذه الأثناء ولدت ما يسمّى "الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية"².

يتميز الأدب الجزائري الحديث عن بقية آداب اللغة العربية في العام العربي ، بخاصية منفردة قلما نجدها في العالم العربي، بخاصية منفردة قلما نجدها تجتمع في أدب العروبة قديماً و حديثاً، ويتمثل ذلك التمايز في جملة من الخصائص المركبة المعقدة، أنبتتها صيرورة تاريخية لا مناص منها، تدخّلت في تشكيل الأدب الجزائري على مر العصور ثلاثة عناصر: العنصر المحلي و العنصر العربي، و العنصر اللاتيني الفرنسي ، و انصهرت العناصر الثلاثة لغة و حضارة عبر التاريخ، ثم لبست حلّة عربية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية في الربع الأخير من القرن العشرين.³

1- عبد المالك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر ، د ط، ديوان المطبوعات

الجامعية، الجزائر، 1983، ص5.

2- محمد بن سميّة: في الأدب الجزائري الحديث، النّهضة الأدبية الحديثة، مؤثراتها، بدايتها، مراحلها، د ط، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003، ص8- 9 .

3-حنفاوي بعلي: اثر الدب الأمريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، الجزائر، دار الغرب للنشر و التوزيع، 2004، ص 155.

" التقت العناصر الثلاث : لقاء الصراع و التفاعل و الاندماج، و أثمرت في النهاية أدبا 'جزائريا' قبل أن يكون لاتينيا فرنسيا ،و إن نطق باللاتينية الفرنسية ، وقبل أن يكون عربيا أو وطنيا أو محليا ،و إن نسج إحداثه وشخصه من عبقرية الأرض و العروبة، وبناء على هذا التركيب العجيب توحدت عناصر اللّغة و الفكر والبيئة و التاريخ و الإنسان الجزائري في صورة شديدة التعقيد و الثراء ، تولّدت عنها صورة الأدب الجزائري المعاصر، الذي تعددت منابعه وتباينت أصوله و مشاريعه ، لكنها تصب جميعها في محيط اشمل ، يتّسع لكل الروافد . محيط الثورة الجزائرية التي انصهرت فيها كل التيارات الفكرية و اللّغوية، و تخضبت فيها كل الكفوف الجزائرية بالدماء، مثلما تخضبت بالحناء في عرس الاستقلال و نيل الحرّية "

فعندما تندمج الروح الشرقية للجزائر بالثقافة الفرنسيّة، التي يستخدمها الكتاب تكون النتيجة أدبا أصيلا، فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميّزه، يختلف عن الأقطار العربيّة. حيث لم يكن للاستعمار تأثيرا مشابها على التعليم و الثقافة ، بل أن التفكير الجزائري ذاته يعتبر مختلفا و متباينا ، حيث انه يشكل مزيجا العقلانية و المنطق والشعريّة،ولا يمكن لهذه العناصر المتناقضة أن جميعها وليدة ثقافة واحدة ، فالجزائري بطبيعته يملك الروح الشاعرية و المتديّنة ، وقد تحصّل من ثقافة المستعمر على المنطق و العقلانيّة"¹.

نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

حمل النص الأدبي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية خلال فترة العشرينات نبوءة ولادة أدبية جديدة، على مستوى المخيال الروائي، والنسيج النصي، قياسا على نص كولونيالي له تصورات الخاصة عن الإنسان الجزائري التي لا تتعدى حدود التحقير، والتخوف، وقد نتج عن ذلك أن تضمن ذلك النص نسخا واضحة لأساليب الكتابة الروائية الفرنسية عند كل من "برتراند"، و"روبير راندو"، و"غابرييل أوديسيو"، و"إيزابيل إيبهراردت"، و"إتيان دينيه"، و"إيمانويل روبلس"، وغيرهم¹.

وظهرت أول مجموعة شعرية سنة 1917، تحت عنوان "أساطير وأشعار الإسلام (Chants et poèmes de l'islam) لسالم القوي (Salem el koubi)، لتتبعها بمجموعة شعرية أخرى سنة 1920 بعنوان "قطرات ندى شرقية" (Roses d'orient).² وأول رواية ظهرت في هذه الفترة كانت للقائد بن الشريف (Le gaid ben cherif) التي حملت عنوان "أحمد بن مصطفى القومي (Ahmed ben Mostapha goumier)" سنة 1920، وتلتها رواية "زهرة زوجة عامل المناجم (Zohra la femme du mineur)" لعبد القادر حاج حمو (Abdelkader Haj - Hamou) سنة 1925،³ بالإضافة إلى رواية "خضرة راقصة أولاد نايل (Kadra danseuse d'ouled nail)" التي كتبها سليمان بن إبراهيم (Slimane ben Ibrahim) بالاشتراك مع إتيان ديني (Etienne Dinet)، وصدرت سنة 1926، ورواية شكري خوجة (Chukri Khodja)

1 - حنفاوي بعلي: المرجع نفسه، ص: 159-160

2 - La littérature maghrébine langue française – Introduction, Jean Déjeux

. p. 15، 1973، Canada، Guébek، Sherbrooke، Naaman، générale et auteursdk

3 - Que sais-،coll، 2e ed، la littérature algérienne contemporaine، Jean Déjeux

p.59.، 1979، France، Paris، je ?

التي حملت عنوان "الأوج سجين بلاد البرابرة (El eudj , des captif barbaresques)", وصدرت سنة 1929، ورواية "مريم بين النخيل (Myriam dans les palmes)" لمحمد ولد الشيخ (Mohammed ould cheikh) سنة 1936، وكذلك نص عيسى زهّار (Zehar Aissa) المعنون بـ "هند صاحبة الروح النقيّة، أو قصة الأم (Hind a l'âme pure ou l'histoire d'une mère)" سنة 1942، والنص الروائي "بولنوار الشاب الجزائري (Bou el nouar , le jeune algérien)" للإخوة زناتي (Les frères zenati) سنة 1945¹.

فعلت هذه النصوص حضور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسيّة آنذاك، وأعطته إشارة انطلاق رسميّة، بغضّ النظر عن جودته أو عدمها، فقبل ذلك التاريخ لم يكن له أي أثر يذكر إلّا نادرا، أمّا هؤلاء الكتّاب فكانوا من أبناء الأعيان، وذوي أحوال معيشيّة ميسورة، كما أنهم من خريجي المدرسة الفرنسيّة، الذين أبدوا تعاونهم مع الإدارة الاستعماريّة؛ لإيمانهم بفكرة التّعايش مع الفرنسيّين، وإمكانيّة الاندماج في مجتمع المستوطنين، وبالرّغم من إعجابهم الظاهر بالثقافة الفرنسيّة، واعترافهم الصّريح بفضلها عليهم، وعلى بلادهم، إلّا أنّ أعمالهم قد تناولت العديد من القضايا المعقّدة التي أثارتها الثقافة الغربيّة بالنّسبة لمجتمع عربيّ مسلم، دون التعمّق في ذلك، أو القصد إليه، كشرب الخمر، ولعب القمار، وهذا ما حاوّل عبد القادر حاج حمو مناقشته في روايته "زهرة امرأة عامل المناجم"².

1- نقلا عن Jean Déjeux – La littérature maghrébine langue française – Introduction générale et auteurs ، Canada، Guébek، Sherbrooke، Naaman، 1973، p. 20.

2- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي – نشأته وتطوره وقضاياها، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 95 – 96.

ومنذ سنة 1929 عالجت الكتابات الروائية هوية الجزائري الذي أصبح فرنسياً بحكم واقعه كمستعمر، ومن ذلك رواية "الأوج أسير بلاد البرابرة" التي لجأ كاتبها إلى استلهاهم الوقائع من تاريخ رياس البحر في جزائر القرن السادس عشر، ليسقطها ببراعة على عصره، بغية أن يأخذ القارئ العبرة منها، وعلى هذا النحو تمت معالجة الموضوع بطريقة غير مباشرة.¹

أما عن الجو العام الذي خيم على أعمال هذه الفترة خاصة الروائية منها فكان غرائبياً؛ قوامه الأساطير، والحكايات، والخرافات المستوحاة من الموروث الشعبي للمجتمع الجزائري، و تجلّى ذلك مبدئياً من خلال أسلوب الكتاب في العنونة²، فضلاً عن عرضهم لجانب من العادات، والتقاليد الجزائرية، و ذلك المزج كله أضفى على أدبهم طابعا فولكلوريا.

أما من حيث الشكل فحرص الكتاب على الكتابة بأسلوب أكاديمي، وبلغة فرنسية جيدة دون أخطاء نحوية، أو إملائية، كما قلّدوا نماذج الأدب الفرنسي، لكي يثبتوا للآخر قدرتهم على الكتاب بمستواه، إلا أنهم نظروا إلى مجتمعهم من الخارج، وبعيون الآخرين، ولم تسلّم أعمالهم من الضعف، والسطحية من النواحي الفنية، والجمالية.³

وتعتبر سنة 1950 هي سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية وحصلوا على نصيب وافر من الثقافة الفرنسية دون أن يفقدوا إحساسهم المرهف بنبض مجتمعهم الذي كان يعيش

1- احمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي - نشأته وتطوره وقضاياه، (د، ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 98.

2- نقلا عن: عبد القادر توزان، الجزائر في أدب ألبير كامو، إشراف صلاح خالص، جامعة بغداد، 1958، ص 34 (رسالة ماجستير).

3- المرجع السابق نفسه، 59.، Jean Déjeux، la littérature algérienne contemporaine،

وقتها حركيّة استثنائيّة على جميع الأصعدة السياسيّة والثّقافيّة والاجتماعيّة، في هذه السّنة ألف مولود فرعون رواية " ابن الفقير "، ليُتبعها بروايات أخرى صدرت خلال عشريّة الخمسينات وهي روايات: " الأرض والدّم " عام 1953، " الدروب الوعة " سنة 1957، كما ألف مولود معمري " الهضبة المنسيّة " عام 1952، ورواية " السبات العادل " عام 1955، لينشر بعد الاستقلال روايته الملحمة التي تحولت لفيلم سينمائي حصد السعفة الذهبية بمهرجان كان السينمائي عام 1975، وهي رواية " الأفقون والعصا " سنة 1965 أما محمد ديب فقد نشر ثلاثيّته الشهيرة في عشريّة الخمسينات بداية بـ " الدار الكبيرة " عام 1952، ثم " الحريق " عام 1954، ليلحقها برواية " النول " عام 1957، ويواصل بعدها نشر باقي أعماله الروائيّة التي حضت بشهرة عالميّة واسعة خصوصا في المجال الثقافي ألفرانكفوني، وخلال نفس العشريّة التي شهدت ميلاد الرواية الجزائريّة ذات التعبير الفرنسي، أي عشريّة الخمسينات من القرن الماضي نشر كاتب ياسين روايته الشهيرة " نجمة " سنة 1956، كما نشر مالك حدّاد روايته " الانطباع الأخير " سنة 1958، ورواية " سأهبك غزالة " سنة 1959، ليتلوها لاحقا برواية " التلميذ والدرس " سنة 1960، وكذا رواية " رصيف الأزهار لم يعد يجيب " سنة 1961.

أما الصوت النسائي الأكثر بروزا ضمن هذه الكوكبة فقد مثّله آسيا جبار، التي نشرت روايتها الأولى " العطش " عام 1957، لتتلوها برواية " الجازعون " سنة 1958، ورواية " أبناء العالم الجديد " سنة 1962.

إنّ ما يميّز هذه الكوكبة من الروائيين الجزائريين و الذين حصلوا جميعا على شهرة وحضور كبيرين على المستوى التّقدي والإعلامي وكذا على نسبة عالية من المقروئية خصوصا لدى عموم القراء الناطقين بالفرنسيّة، ما يميّزهم جميعا، هو كونهم خريجي¹

¹-المرجع السابق نفسه، Jean Déjeux p 60، la littérature algérienne contemporaine

المدرسة الفرنسيّة التي أتاحَت للجزائريّين تلقّي نصيب من التعليم؛ وكذا ارتباطهم - رغم ثقافتهم الفرنسيّة - بهموم مجتمع " الأهالي " وتعبيرهم عن عمق المجتمع الجزائري مستعملين اللّغة الفرنسيّة كوسيلة توصيل للرؤى الإبداعية التي يتبنونها ويدافعون عنها، وما ميّز كتاباتهم أيضا، هو إعطاء صوت للجزائريّين داخل المتن الروائي المكتوب باللّغة الفرنسيّة ، حيث أنّ الرواية الفرنسيّة عموما لم تهتم بوضع الجزائريّين ولم تقترب منهم إلا نادرا، فقد ظلّ " لانديجان " في نظر المستعمر والرجل الغربي مجرد إنسان متوحش بليد وعدواني، يعطي صورة عن الشرق الاكزوتيكي الذي صوره فنّانو أوروبا وروائيّوها من خلال أعمال متخيّلة لا تلتقي بالواقع إلا نادرا، أي أنّ الغرب خلق الشرق الذي يبحث عنه كما بين ذلك ادوارد سعيد في كتابه الاستشراق، وهذه النظرة الغير الواقعيّة للأهالي هي التي وظّفها الروائيون الفرنسيّون - حتّى الذين عاشوا بالجزائر - وهم يتناولون الأهالي في أعمالهم؛ وحول هذه النقطة بالذات تتميز الرواية الجزائريّة المكتوبة بالفرنسيّة عن مجموع المتن الروائي الفرنسي، حيث أنّ الروائيين الجزائريّين أكثر معاشية للواقع الجزائري ومشاكله وإشكالاته من زملائهم الفرنسيّين " حيث أنهم لم يمارسوا الأدب إلّا بعد التجارب التي اقتنتوها في مختلف الحرف، لذلك جاءت موضوعاتهم الأدبيّة تعبر عن خبرة شخصيّة بالمشاكل اليومية. وهكذا نجد كاتب ياسين، مثلا، قد احترف الصّحافة والعمل في المواني والزراعة قبل أن يمارس الأدب. أمّا محمد ديب فقد اشتغل محاسبا ونسّاجا ومعلما وصحفيّا قبل أن يدخل ميدان الأدب. ومن المهم أن نلاحظ أنّهم جميعا قد مارسوا حرفة التعليم...¹ ، ولهذا نجد أنّ الروائيين الجزائريّين وهم يكتبون بالفرنسيّة لم ينسلخوا عن مجتمعهم ولا تجرّدوا من هويتهم، رغم إحساسهم بشيء من التمزّق بين ثقافتين، ثقافة فرنسيّة ذات أفق عالمي اكتسبوها من

1- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص96.

خلال دراستهم في المدارس الفرنسيّة ومن خلال سفر معظمهم إلى فرنسا والعيش فيها لفترات معينة والتأثر بأسلوب الحياة الغربي، وبين ثقافة أصيلة عربيّة وبربريّة لا تزال تؤمن بالغيبات التي تحكم حياة الفرد، وتسيطر عليها " جميع التقاليد والعادات والطبائع والتصورات التي تريد أن تسجنه في قيود لا تتفصم "؛ فنجد كتاب الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي في تلك الفترة المبكرة لميلاد الرواية الجزائرية قد تحدّثوا وبكثير من الصدق عن معاناة الإنسان الجزائري وطموحاته، ونقلوا مشاكله اليوميّة من فقر وبطالة وهجرة وظلم ورغبة في الارتقاء و الإنعتاق، من الواقع المعيش إلى العالم الروائي وفضاءه الإبداعي، متجاوزين النظرة الرومانسيّة والغنائيّة التي ميزت الرواية الفرنسيّة في تناولها للفرد الجزائري والتي ظلّت تركّز دوماً على العناصر البدائيّة التي تستهوي القارئ الغربي وترضي ذائقته التي شكلتها المدرسة الإستشراقية.¹

1- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 97.

أبرز رواد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي

إنّ الثقافة العربيّة وما حملته من بعض أبنائها اللّذين وقعوا تحت ضغوط عدّة ما هي إلا دافع لإستزادة التمسّك بها. و أدباء الجزائر في هذه المرحلة قد أبدعوا بلغة الاستعمار وضدّ الاستعمار إذ كانت كتاباتهم مستوحاة من واقع الشعب الجزائري ومن هذه الروح اكتسبت الأعمال الإبداعية بالفرنسية قوتها و خصوصيتها المتميّزة فكان من أبرز روادها:

1- مولود فرعون: (1913-1962)

ولد مولود فرعون في قرية تيزي هيل بولاية تيزي وزو بالجزائر يوم 18 مارس 1913 من عائلة فقيرة، اعتبر مولود فرعون لفترة طويلة نموذجا للكاتب الجزائري باللغة الفرنسية من الجيل الأول . و نشر عام 1950 «ابن الفقير»، وفي سنة 1953 ظهرت له رواية «الأرض والدّم»، وفي عام 1957 «الدروب الوعرة»، وصدرت يومياته سنة 1969 في كتاب مستقل يحمل عنوان «مولود فرعون: رسائل إلى الأصدقاء»، وأخيراً نشرت روايته «الذكرى» عام 1972 .

لقد كانت «ابن الفقير» روايته الأولى ولا تزال، أوّل عمل أدبي يبدأ به كل تلميذ جزائري اطلّاعه على الأدب الفرنسي. وكان فرعون يلفت انتباه مواطنيه كلما أصدر كتاباً جديداً وكان آنذاك معلماً قروياً، انتقل للعمل في العاصمة قبيل هلاكه المأساوي على يدي غلاة الاستعمار الحانقين. وقد حاز إبداعه شيئاً فشيئاً على شهرة واسعة، ليس في وطنه فحسب بل في فرنسا كذلك، وترك موت الكاتب أثراً فاجعاً في قلوب كل النّاس من ذوي الإرادة الطيبة.¹

¹ - جمال الدين بن الشيخ ، معجم آداب اللّغة العربيّة و الأدب الفرنكفوني المغاربي، تر مصباح الصمد، ط1، ببيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع 2008 ص 130-131 .

ساهم مولود فرعون كثيراً في دعم القضية الوطنية، وإيقاظ الوعي للشعب الجزائري، الذي هب لمعركته الخيرة والحاسمة ضد الاستعمار.¹

أمّا عن مسيرة حياته فقد ولد في عائلة فقيرة اضطرّ فقرها أباه إلى الهجرة مرّات عديدة بحثاً عن العمل، لكن هذا الفقر لم يصرف الطفل و لا أسرته عن تعليمه، فالتحق بالمدرسة الابتدائية في قرية تاوريرت موسى المجاورة، فكان يقطع مسافة طويلة يومياً بين منزله و مدرسته سعياً على قدميه في ظروف صعبة، فتحدّى "مولود فرعون" ظروفه القاسية و المصاعب المختلفة بمثابرته واجتهاده و صراعه مع واقعه القائم الراح تحت نير الاستعمار الفرنسي، و بهذا الصراع استطاع التغلب على كل المثبطات و الحواجز مما أهله للظفر بمنحة دراسية للثانوي بتيزي وزو أولاً وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة بعد ذلك، ورغم وضعه البائس تمكن من التخرج من مدرسة المعلمين، و اندفع للعمل بعد تخرجه، فاشتغل بالتعليم حيث عاد إلى قريته تيزي هيل التي عيّ فيها مدرّساً سنة 1935 ميلادي في الوقت الذي بدأ يتسع فيه عالمه الفكري و أخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه.²

وبعدّ فرعون أحد أكبر كتّاب المغرب العربي ذوي التعبير الفرنسي شهرة، كتب مولود فرعون في « ابن أفقر »، مبيناً كيف يتكوّن « الطبع الحقيقي » للرجل القبائلي، حيث يولد الطفل في هذه المنطقة، من أجل المعركة في سبيل الحياة. وتشكّل فلسفة وحكمة الحياة وعاداتها ومعتقداتها وشعائرها القديمة ، ذلك العالم الخاص والأصيل الذي تمثله قرية تيزي، حيث شبّ ابن الفقير « فورلو »، وهي في الوقت ذاته ذلك العالم النموذجي لقرية قبائلية نموذجية. وهذا العالم لا يزال في الرواية يحيا أساساً وفق سنن موروثه من

1- جمال الدين بن الشيخ : المرجع السابق ، ص 131 .

2- ويكيبيديا الموسوعة الحرة : مولود فرعون/ www.wikipedia

الماضي البعيد، حيث تسود أخلاق وأنماط حياة الأجداد، وحيث لا يزال كل واحد يؤمن بالقدر. غير أنّ الشّكل الثاني من الصّراع هو صراع من أجل إجادة لغة غريبة وثقافة غريبة، والدراسة في ثانويّة فرنسيّة حيث يشعر دائماً بنفسه غريباً، ويشعر بالخوف من الطرد بسبب إخفاق عارض، ويصمّم «فورلو» على لقاء هذا العالم الذي يجهله، وهذه الحياة الغريبة عنه: «وحدي، وحدي في هذه المعركة الرهيبة التي لا ترحم...»¹.

تعتبر رواية ابن ألقير إلى حدّ بعيد سيرة ذاتيّة، تصف طفولة الكاتب ومراهقته، كما تغطّي الرواية السنوات الأخيرة من الحرب العالميّة الأولى، لتصل نهاية العشرينات. وتناول فرعون في رواية «الأرض والدم» أوّل مرحلة من عمليّة هجرة سكّان شمال أفريقيا للعمل بسبب الوضع الشاق للعمال و الفلاحين في المستعمرات.

و مما سبق نقول إن فرعون سيضل متمثلاً نموذجياً لجيله جمع في ذاته عالمين وثقافتين ، ومثالاً للفنان المخلص و الشجاع الذي نجد في إبداعه أوّل محاولة جديّة لتصوير حياة وطنيّة، وشعبه بموضوعيّة، وطرح المشاكل و التناقضات التي زخرت بها مرحلة يقظته الوعي الوطني للجزائريّين، تلك المرحلة المرتبطة بالكفاح من أجل الاستقلال فهو من قال : "اكتب بالفرنسيّة ، و أتكلم الفرنسيّة ، لأقول للفرنسيين إنني لست فرنسياً".²

1- أمين الزاوي: الرواية المغاربية ذات التعبير الفرنسي، مجلة التبيين، الجزائر، العدد 9، 1995، ص24.

2 - حنفوي بعلي ، اثر الادب الامريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، مرجع سابق، ص167 .

2- مولود معمري (1917 - 1989)

مولود معمري روائي وباحث أمازيغي جزائري في اللسانيات الأمازيغية، ولد في 8 ديسمبر 1917 بتاوير ميمون في أيت يني (القبائل الكبرى)، انتقل في الثانية عشرة من عمره إلى مدينة الرّباط للدراسة التي واصلها بالجزائر ثم باريس .مارس مهنة التّعليم ابتداء من سنة 1947 في المديّة وفي جامعة الجزائر 1962. توفي في شهر فيفري من سنة 1989 في حادث مرور بعين الدفلى بعد عودته من ملتقى (بوجدة) المغرب.

أدب معمري مزدوج اهتم كعالم اجتماع بالأدب البربري الشفهي في الجزائر فنشره سنة (1969) poème de si mhand ، وفي نفس السنة poème kabyles les isefra ، وفي 1980 نشر anciens و أهالي الغورار (1986) ونشر ككتاب أربع روايات، الهضبة المنسيّة (1952)، نوم المنصفين (1955) ، الأفيون و العصا (1982) ورواية سبات العادل سنة (1952).¹

وأعمال معمري تسير في خط متوازي مع تطوّر الوقائع السياسيّة في الجزائر، فرواية (الهضبة المنسيّة) تبتدئ وقائعها في فترة ما قبل الحرب العالميّة الثانيّة ، لتصور الوضع في الجزائر في ضلّ الاحتلال الفرنسيّ، ويعبّر الكاتب عن مآسي الشعب و أحزانه وبؤسه ، أمّا رواية (سبات العادل) فتأخذ البطل إلى داخل المجتمع العربي ، وهو مشبع بالآمال و التوقّعات العظام، بيد أنّه سرعان ما يرفض، فيخرج من التجربة وهو يشعر بالمرارة، وكأنّه يسير في الفراغ. ونشر رواية « العفيون والعصا» سنة 1965، التي تمثّل ظاهرة بالغة الأهميّة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسيّة في عهد الاستقلال، وهي أوّل نتاج أدبي عن الثورة الجزائريّة، ألفه كاتب ظل وفيّاً

1- جمال الدين بن شيخ ، معجم أدب اللغة العربية و الادب الفرنكفوني مرجع سابق ، ص481

لمبادئ إبداعه الباكر قبل الحرب، وليس صدفة أن ينشر معمري روايته هذه بعد نهاية المرحلة التاريخية التي يصفها، ذلك أن الكاتب يفضل اتجاهات الواقع، التي تحدت وبرزت بوضوح وليس تلك التي ما زالت في طور الارتسام. ومع ذلك فلا ريب في جدة الموضوع الذي اختاره، ولا يتخلّى الكاتب عن السرد التوسعي في الأغلب، ويسعى إلى بحث وضع الأمة، مصوراً وعي الفئات الاجتماعية، الوعي الناقد، الذي يجسده البطل الرئيسي الطبيب البشير، والوعي الدوغمائي¹.

وما يثير الاهتمام هو أن معمري، يصور البطل رمضان، الذي غادر في طفولته مسقط رأسه، وراح يدرس الكتب بلا انقطاع في خلوة، عند عمّه الذي يقطن المدينة، أين أصابه السل، يصوره فاقداً لطبقته، ومضيقاً لروابطه بالأرضية الطبيعية. ولعلّ هذا هو سبب فراغه الروحي المتميز، وقد أشار الكاتب إلى أن رمضان «كان يحب أن يماثل نفسه بمن يسميهم الشعب» ملمحاً بذلك إلى الطابع الاصطلاحي لهذا المفهوم على لسان بطله «نحن غير متعلمين»، هكذا سمي رمضان نفسه في رسالة إلى بشير.

من المنطقي أن تتقل الحرية كاهل أبطال معمري، وتبدو التهذئة النفسية لرمضان حين زجّ به في المعتقل. ويستخدم معمري مراراً في روايته أسلوب دحض الرأي الذي يتشكل في البداية عن هذه الشخصية، أو تلك في محاربته لأية أحكام قبلية. وهكذا فمن بين شخصيتين متعارضتين: العادل رمضان، وبشير الذي يظهر في البداية أنانياً مخنثاً، يتضح أن البطل الإيجابي هو بشير بالذات، وعلى امتداد تطوّر الرواية، تبرز الكثير

1-الدوغمائية : هي التعصب لفكرة معينة ورفض الاستماع لكل الأفكار الأخرى وحتى عند توفر دليل ضدها فإن الدوغمائي يرفض مناقشته، وهو حالة متقدمة من الجمود الفكري. وتظهر حالة الدوغمائية هذه عادة عند المتشدددين دينياً أو سياسياً، حيث يعتبر نقاشهم مسألة ممنوعة وأفكارهم مقدسة غير قابلة للمس.

من شخوص المؤلف أفضل مما كنا نتوقع. وتكمل عضوا الخلفية الشعبية للرواية ، التي تشكلها صورة حياة الجماعة الفلاحية في عهد الهزات الرهيبة، صورة البطل المركزي بشير، الذي يبحث عن الحقيقة لخير المستقبل الوطني.

إن تصوير الارتباط العميق لشخصية تقدمية مفكرة بالكل الشعبي في رواية « العفيون والعصا » يحدد المغزى الاجتماعي لهذا الأثر الأدبي البارز. فالرواية تعنى بحرب الاستقلال ذاتها؛ بمحاسنها ورعبها بأصدقائها وأعدائها.¹

3- محمد ديب (1920-2003)

محمد ديب كاتب وروائي جزائري كبير ولد بالغرب الجزائري بمدينة (تلمسان) سنة 1920 وعاش طفولته فقيرا ثم يتيما بعد أن توفي والده وهو لا يزال في العاشرة من عمره. لكن ذلك لم يوقف عزمه على متابعة دراسته بجد وكد في مسقط رأسه، ولما بلغ سن التاسعة عشرة اشتغل بالتعليم ثم انتقل سنة 1942 للعمل في السكك الحديدية. ثم عمل محاسبا ثم مترجما.. ثم مصمما للديكور ثم حرفيا في النسيج يصنع الزرابي. وبعد أن تنقل في كل هذه المهن انتقل سنة 1948 إلى العاصمة الجزائرية والتقى هناك بالكاتب الفرنسي الجزائري الكبير (ألبير كامو) والكاتب الجزائري (مولود فرعون) وغيرهم ليزداد اهتمامه بالكتابة والتأليف. ومنذ سنة 1950 بدأ في العمل الصحفي واشتغل بجريدة "الجزائر الجمهورية" رفقة الكاتب الجزائري الكبير كاتب ياسين. كان. محمد ديب في كتاباته الصحفية مناهضا للتواجد الاستعماري الفرنسي في الجزائر فنفي بسبب ذلك. وبعد ذلك جاب محمد ديب بلدانا كثيرة ومدنا عديدة فمن باريس إلى روما، ومن هلسنكي إلى عواصم أوروبا الشرقية، وطاب له المقام بالمملكة المغربية عام 1960، ومع استقلال

1- حنفاوي بعلي ، المرجع السابق ، ص 168

الجزائر عام 1962 عاد محمد ديب إلى أهله وذويه.

تنوعت أعماله ما بين الرواية والشعر والتأملات أهم رواياته ثلاثية الجزائر: الدار الكبيرة 1952 م الحريق 1954 ، النول 1957 ، ثلاثية الشمال: سطوح اورسول 1985، إغفاءة حواء 1989 ، تلوج المرمز 1990م.

وفي سنة 1963 نال في الجزائر جائزة الدولة التقديرية للآداب برفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة. وكان أول كاتب مغربي يحصل على جائزة ألفرنكونية، وذلك عام 1994 حيث تسلمها من الأكاديمية الفرنسية تنويها بأعماله السردية والشعرية. وبعد أن كتب الرواية والقصة والشعر والمسرحية وعاش أزيد من 80 سنة توفي الأديب الجزائري محمد ديب يوم 2 مايو/ أيار 2003 بسان كلو إحدى ضواحي باريس.

أصدر محمد ديب أول عمل أدبي عام 1952 وهو روايته الشهيرة "البيت الكبير"، وقد نشرتها "لوسوي" الفرنسية ، ونفدت طبعتها الأولى بعد شهر واحد. ثم أصدر رواية "من يذكر البحر؟"، ثم رواية "الحريق" التي تنبأ فيها بالثورة الجزائرية والتي اندلعت بعد صدورها بثلاثة أشهر. وفي عام 1957 نشر رواية "النول". ثم توالى كتاباته السردية ما بين 1970 و 1977 فنشر ثلاث روايات هي "إله وسط الوحشية" عام 1970، و"سيد القنص" عام 1973، و"هابيل" عام 1977.¹

ترك محمد ديب أكثر من 30 مؤلفا ، منها 18 رواية آخرها "إذا رغب الشيطان" و"الشجرة ذات القيل" عام 1998، وخمسة دواوين شعرية منها "آه لتكن الحياة"

1- عائدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي الجزائري، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982، ص78.

عام 1987، وأربع مجموعات قصصية منها "الليلة المتوحشة" عام 1997، وثلاث مسرحيات آخرها "الف مرحى لمومس" عام 1980. إلى جانب ترجمته للكثير من الأعمال باللغة الفنلندية إلى الفرنسية.

وكان يقول عن نفسه متحدّثاً عن هويّته وعلاقتها باللغة "إن أخيلتي وتصوراتي نابعة من اللغة العربية، فهي لغتي الأم، إلا أنّها مع ذلك تعتبر موروثاً ينتمي إلى العمق المشترك. أمّا اللغة الفرنسية فتعتبر لغة أجنبية مع أنني تعلمت القراءة بواسطتها، وقد خلقت منها لغتي الكتابية".¹

ونشر محمد ديب «الدار الكبيرة» سنة 1952، وفي سنة 1955 أضاف لها الجزء الثاني من الثلاثية «الحريق». ويعد محمد ديب رائداً للرواية الجزائرية الحديثة المكتوبة باللغة الفرنسية، امتصّت هموم الإنسان الجزائري، الذي كان الشعر والأدب الشفهي عامّة هو زاده الروحي الرئيسي. وتأتي ثلاثيته في مقدمة الأعمال التي تؤرخ لمولد الرواية الجزائرية، وكما مثّلت سيرة شخصية لصاحبها، مثّلت «مذكرات الشعب الجزائري» هكذا وصفها أراجون، أو هي الجزائر نفسها كما قال معظم النقاد، فهي تتناول حياة العمال في المدينة، وحياة الفلاحين في القرية، وتنتهي إلى «أن النار قد بدأت ولن تتوقّف أبداً. إنها تستمر مشتعلة ببطء و بعماء إلى أن نعلم ألسنتها الدموية البلاد كلها بحرارته المدمرة».²

إنّ القاسم المشترك بين روايات ديب الأخيرة هو البطولة المشتركة، وبعض السمات الشاعرية المتشابهة، وقبل كلّ شيء المونولوج، أو الحوارات الداخلية لكثير من الأشخاص، التي تعبر عن وجهات نظر مختلفة حول طريقة إنقاذ البلاد، كما أنّ هناك

1 - ويكيبيديا - الموسوعة الحرة محمد ديب/ www.wikipedia

2- عابدة أديب بامية: المرجع نفسه ، ص 80.

أمرًا مشتركاً بينها، هو بحوث الأبطال المولعة واصطداماتهم.

منذ عام 1962، فاجأ ديب قراءه بتغيير مفاجئ في مسيرته الروائية، فقد أصدر روايته «من ذا الذي يذكر البحر» وكانت شبيهة بروايات علم الخيال - الواقعية الخرافية، التي التزم بها الكاتب طوال حياته الأدبية، حيث أصبحت رمزية غارقة في الغموض والشاعرية.

في رواياته الأخيرة سما ديب بالثورة الجزائرية إلى قمة التصوف «الرمزي الخيالي»، صار الاستعمار آلات وحشية غريبة، كأنها تنزل من كوكب بعيد، وفي مواجهتها كان الثوار بشراً متمردين، يقاومون بأسلحة صغيرة لكنها سرعان ما تخرق الصمت، وتذيب صلب الآلات الوحشية. وبعد هذه الرواية واصل «تصوفه الخيالي» خاصة في «الجري وراء الضفة الأخرى» ورواية «سطوح اورصول». في هذه الروايات ظهر «أدب المنفى» واضحاً لدى الكاتب، والبطل ينتهي إلى العزلة التامة والضياع القاتل، وتنتهي رواياته بمونولوجاتها الطويلة المليئة بالأسئلة الثاقبة للذاكرة العائدة. فإذا كان ديب في رواياته الأولى يكتب عن العادات والتقاليد في الأغلب، فهو الآن يعمل مع أوهام الخيال، ويترك هذا التحول انطباعاً عن حيرة الفنان. إن هناك تناقضاً كبيراً في الإبداع السابق لمحمد ديب، ينبئ بتطوره المعقد، الذي ما زال مستمراً على ما يبدو إلى يومنا هذا.¹

1- عابدة أديب بامية: المرجع السابق ، ص 81.

4- آسيا جبار (1936-2015)

ولدت باسم فاطمة الزهراء في 30 يونيو 1936 في شرشال غرب الجزائر العاصمة، حيث تلقت دراستها الأولى في المدرسة القرآنية في المدينة قبل أن تلتحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية في مدينة موزاية ثم البليدة فالجزائر العاصمة. شجعها والدها الذي تقول عنه بأنه «رجل يؤمن بالحدثة والانفتاح والحرية».

تابعت دراستها في فرنسا حيث شاركت في إضرابات الطلبة الجزائريين المساندين للثورة الجزائرية و الاستقلال الجزائر. خاضت الكتابة الأدبية والمسرحية والإخراج السينمائي بنجاح، فنشرت أول أعمالها الروائية وكانت بعنوان «العطش» (1957) ولم تتجاوز العشرين من العمر، ثم رواية «نافذة الصبر» (1958). بعد استقلال الجزائر تزوّعت جبار بين تدريس مادة التاريخ في جامعة الجزائر العاصمة والعمل في جريدة «المجاهد»، مع اهتمامها السينمائي والمسرحي¹.

لم تزر الجزائر سوى مرة واحدة خلال النزاع الدامي الذي شهدته التسعينات بين قوات الأمن والجماعات الإسلامية المسلحة لتشييع جنازة والدها الذي كان مدرّسا، وتزوجت آسيا جبار بعد أن طلقت في 1975، من جديد مع الشاعر والكاتب الجزائري عبد المالك علولة.

هاجرت إلى فرنسا عام 1980 حيث بدأت بكتابة رباعيتها الروائية المعروفة، التي تجلّى فيها فنّها الروائي وفرضها كصوت من أبرز الكتاب الفرنكوفونيين. واختارت شخصيات رواياتها تلك من العالم النسائي، فمزجت بين الذاكرة والتاريخ، من رواية «نساء الجزائر» إلى رواية «ظل السلطانة» ثم «الحب والفنتازيا» و«بعيداً عن المدينة»

1- موسوعة الجزيرة نت www.aljazera.net/encyclopedia / ملف آسيا جبار

في أوج الحرب الأهلية التي هزت الجزائر، كتبت عن الموت أعمالاً روائية أخرى منها: «الجزائر البيضاء» و «وهران... لغة ميتة». وبعيداً من مناخات الحرب، بل ومن أجواء الحب المتخيل، كتبت رواية «ليالي ستراسبورغ». وهي لم تكتب هذه الرواية هرباً من وجع الموت الجماعي الذي شهدته الجزائر، وإنما كعلاج نفسي داوت به غريبتها وآلامها، بحسب تعبيرها. كما كانت آسيا جبار أول امرأة جزائرية تنتسب إلى دار المعلمين في باريس عام 1955، وأول أستاذة جامعية في الجزائر ما بعد الاستقلال في قسم التاريخ والآداب، وأول كاتبة عربية تفوز عام 2002 بجائزة السلام التي تمنحها جمعية الناشرين وأصحاب المكتبات الألمانية، وقبلها الكثير من الجوائز الدولية في إيطاليا، الولايات المتحدة وبلجيكا، وفي 16 يونيو 2005 انتخبت بين أعضاء الأكاديمية الفرنسية لتصبح أول عربية وخامس امرأة تدخل الأكاديمية. كانت جبار بروفيشورة الأدب الفرنكفوني في جامعة نيويورك. وقد رشحت لنيل جائزة نوبل في الآداب عام 2009. توفيت آسيا جبار يوم السبت 7 فبراير 2015 في أحد مستشفيات العاصمة الفرنسية باريس و دفنت في مسقط رأسها شرشال (غرب الجزائر) تنفيذاً لوصيتها.¹

وإذا كان الروائيون الجزائريون في الفترة ما بين الحربين، وحتى الثورة الجزائرية قد تتلمذوا مباشرة على صنّاع الرواية الكولونيالية، فإنّ الروائيين المعاصرين بالفرنسية، يعودون الآن لاستثمار أساليب وطرق الرواية الكولونيالية، والفن التشكيلي الكولونيالي في نصوصهم.

1- الرواية الجزائرية آسيا جبار في مقدمة مرشحي نوبل - موقع محيط - تاريخ النشر 28 سبتمبر -

- 2009 تاريخ الوصول 7 أكتوبر 2009 -

اتكأ هؤلاء على نصوص أو لوحات لمبدعين استعماريين، يعودون إلى نهاية القرن الماضي بداية الغزو، حتى بداية استقرار الرأسمال الكولونيالي.

ويختلف موقف « آسيا جبار » ككاتبة، عن مواقف الجزائريين الآخرين، فهي ترى أن الرواية يجب أن لا تعكس حوادث العهد الذي تكتب فيه. فكأنها تحتاج إلى البعد الزمني، الذي تطلبه عمل المؤرخ لتقييم صادق للأحداث، وعلى هذا الأساس فروايتها « العطش » التي كتبتها خلال السنوات الأولى من حرب الجزائر لم تعكس الجو الذي كان سائداً في تلك الآونة، فهي تمثل للكاتبة هروباً من الواقع القاسي، ففي واقع حياتها كان الفرنسيون يلاحقون خطيبها، وكان أخوها في عداد الجيش المقاتل في الجبال، فهي تعتقد أن معالجتها للأحداث، التي كانت تهزّ بلادها في تلك الفترة، لم تكن لتؤدي إلى كتابة أعمال تتسم بالعمق، ولم تعالج ثورة التحرير إلا في روايتها الثالثة « أطفال العالم الجديد » واتخذت في تناولها موقف المراقب للأمور وليس المشارك فيها.¹

¹ - موقع محيط : الروائية الجزائرية آسيا جبار في مقدمة مرشحي نوبل - - تاريخ النشر 28

سبتمبر - 2009 - تاريخ الوصول 7 أكتوبر 2009 -

5- كاتب ياسين: (1929-1989)

يعد من الكتاب الجزائريين الذين اشتهروا بالتّعقيد في كتاباتهم والغموض في شخصيّتهم، ممّا دفع معظم النقاد و الدّارسين إلى دراسة إنتاجه الأدبي دراسة جدّية ترمي إلى حلّ ألغازه ورموزه.

فكان ذلك سببا رئيسيّا في اكتساب الكاتب شهرة عظيمة، وكان النقاد منقسمين حوله إلى قسمين: منهم المناصرون، ومنهم المناهضون، وقد كان حظّه من المناصرة في المرحلة الأولى أي قبل الاستقلال أكثر بكثير من حظّه في ذلك بعد الاستقلال، وذلك لأنّ معظم كتاباته بعد الاستقلال كانت تكشف عن موقف معاد للسلطة والعادات والتقاليد.

ولد "كاتب ياسين" في السادس من أوت 1929 في مدينة قسنطينة، كان والده من أبناء القبائل الكبرى يشتغل بالمحاماة ، دفع به أبوه إلى الكتاتيب ليدرس اللّغة العربية والقران الكريم ثم ما لبث أن ألحقه بمدرسة فرنسيّة. وكغيره من الكتاب استاء "كاتب ياسين" في بداية الأمر من دخوله المدرسة الفرنسية وتعلّمه اللّغة الفرنسية، إذ كان يطلق عليها عبارة " فم الغول" أو " فم الذئب" ¹.

فوجد نفسه يعيش مفرقا بين عالمين مختلفين وبين ثقافتين مختلفتين، ف شعر بنوع من الانفصام في الشخصية ونوع من الانفصال عن مجتمعه و وطنه، فعاش ذلك الصراع شأنه في ذلك شأن زملائه، وسجّله تسجيلا صادقا في كتاباته الأدبية .

1- علجية مرحوم، القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللّغة الفرنسية ، دراسة مقارنة 1935-1962

جامعة دمشق، رسالة ماجستير، ص 109- 110.

وقد كان "كاتب ياسين" كثير التجوال و الترحال منتقلا تارة بين الجزائر وفرنسا وتارة بين الجزائر وأوروبا، وتارة بين الجزائر والبلدان العربية وتارة أخرى بين مدن الجزائر ذاتها.

وقد كان سببه في ذلك من جهة البحث عن العمل خاصّة بعد أن توفي والده وترك له مسؤولية إعالة أسرة كبيرة مكوّنة معظمها من النساء، ومن جهة أخرى اندلاع حرب الجزائر، فدفّع إلى اتّخاذ طريق النفي هربا من ملاحقات الاستعمار الفرنسي، زار كثير من البلدان ودخل السجن وهو لا يزال مرافقا، وكان ذلك خلال المظاهرات التي قام بها الشعب الجزائري في 08 ماي 1945.

فكانت تلك الحوادث صدمة قويّة بدّدت أحلامه المراهقة ووضعت في خضم المأساة الوطنيّة. ظلّت صور أكّاس الجثث وأكوام الجرحى التي كانت تملئ الشوارع تطارد خياله في مسرحيّته " المرأة المتوحشة" وفي كل أعماله. 1 وبعد مشاركته في الحوادث فصل من المدرسة وسجن، ومن ثم تعرف على شعبه واكتشف أسرار دفعته إلى الانخراط في الحركات السياسية، وإلى الكتابة الفنيّة والشعريّة. فكان ينشر أشعار ومقالات في جريدة " الجزائر الجمهوريّة " حيث كان (كما كان قبل ذلك) ² . يشغل مراسلا صحافيّا مع زميله "محمد ديب" 1949 ينشر في فرنسا بعض محاولاته الأدبية في جريدة "Mercure de France". وكان ابرز ما نشر فيها قصيدة " نجمة" سنة 1948 .

أمّا الآثار الأدبية التي تركها فهي غزيرة نذكر منها في المجال الروائي: نجمة " Nedjma " 1956 ، النجمة المضلّعة 1966 .

1- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية ، منشورات المكتبة العصرية، (د،ط) بيروت، 1967 ص112.

2- علجية مرحوم ، المرجع السابق، ص111.

وفي المجال المسرحي: دائرة الانتقام 1959، المرأة المتوحشة 1963، الأجداد يضاعفون الشراسة 1967، مسحوق الذكاء 1967، Soliloques، أمّا في المجال الشعري فليس له سوى مجموعة شعرية.¹

6- مالك حدّاد (1927-1978)

ولد مالك حدّاد في الخامس من شهر جويلية 1927 بمدينة قسنطينة. و فيها تعلّم، وقد أحرز على شهادة الدراسة الثانويّة، فرع الفلسفة والآداب، كما حصل على شهادة أهليّة التعليم الابتدائي. عمل لفترة قصيرة معلّما بقسنطينة.

سافر مالك حدّاد إلى فرنسا ونال إجازة في الحقوق. أقام خلال الثورة الفرنسيّة بسويسرا، حيث كان يكتب معظم قصصه ويساهم في تحرير بعض المنشورات التي كانت تصدرها "جبهة التحرير". وقد قام مالك حدّاد بعدة مهمّات رسميّة، فمثّل جبهة التحرير في مؤتمر الكتاب الإفريقيين الآسيويين الذي عقد بالعاصمة اليابانيّة طوكيو، وألقى سلسلة من المحاضرات في الهند ومصر ولبنان وروسيا والصّين وغيرها من البلدان. بعد الاستقلال التحق مالك حدّاد بوزارة الخارجيّة فعمل فيها بصفته مكلفا بمهمّة في الكتابة العامّة، واختير عضوا في لجنة التّوجيه الثقافي في المكتب السياسي.²

كما أشرف في قسنطينة على الصفحة الثقافيّة بجريدة "النّصر" أسّس مجلة "promesses" سنة 1969، وشغل منصب أوّل أمين عام لاتّحاد الكتاب الجزائريّين في الفترة ما بين 1974 و 1978.

1- علجية مرحوم، نفس المرجع، ص112.

2- مالك حداد. رصيف الازهار لا يجيب، ترجمة حنفي بن عيسى، المطبوعات الوطنية الجزائرية، 1965، ص3-4.

بعد الاستقلال قرّر مالك حدّاد أن يتوقف عن الكتابة مصرّحاً بجملته الشهيرة "اللغة الفرنسية منفاي ولذلك قررت أن أصمت. وهكذا توفّي الكاتب بسرطان صمته في الثاني من جوان 1978، ليكون أوّل شهيد يموت عشقا للغة العربية.¹

7- مراد بوربون

ولد في 23 يناير 1938 في جيجل و هو أديب ناشئ بدأ حياته الأدبية مع نهاية الحرب ، وبداية عهد الاستقلال ، ونشر كثيرا من القصائد تدور حول موضوع ' مولد العهد الجديد، و العالم الجديد' و إلى جانب قصائده العديدة نشر قصّة واحدة فقط "قمة الرتم" عام 1962، ورغم صغر سنّه فقد انتخب بعد الاستقلال رئيسا للجنة الثقافية لجبهة التحرير الوطني ، ثم رئيسا لتحرير جريدة المجاهد.

وفي قصّته "قمة الرتم " يقدم لنا بوربون نماذج مختلفة من الناس ، و من خلال مناقشتهم التي تدور على مستويات مختلفة استطاع بوربون ببراعة أن يعرض لنا نماذج من مختلف الاتجاهات التي كانت تميز الجزائر عشية الثورة، اذ تدور أحداث القصّة في تلك الفترة التي سبقت إعلان الثورة المسلّحة والتي انطلقت شرارتها الأولى في الأول نوفمبر أربعة و خمسون و تسعمائة و ألف.

وأسلوب الكاتب رصين ويبشر بمستقبل ، ولكننا نحس أن الكاتب متأثر جدا بكتّاب الجزائر الآخرين وخاصة كاتب ياسين في الكتابة و العرض ،ولبوربون وجهة نظر

1- يهوني زهية و آخرون ، "موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين"، دار الحضارة ، الجزائر ، 2003، ص15.

خاصّة تجاه مستقبل هذه الثقافة وضّحها في مقالات عديدة نشرت في جريدة المجاهد

و غيرها من الصحف و المجلات .¹

ومن مؤلفاته: - المؤذن (رواية 1968م) و الحج الوثني (أشعار 1964).

1- محمود قاسم. موسوعة أدباء نهاية القرن العشرين، ط1، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2000 م،

موضوعات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

من الموضوعات التي عمد الكتاب الى معالجتها في كتاباتهم الروائية نجد الثورة، الاستعمار، الجوع، الاحوال المعيشية القاسية... الخ .

فها هو محمد ديب في روايته "الدار الكبيرة" يشكل منعطفًا حاسمًا في تطور الادب الروائي الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية على مستوى المضمون، فأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية صالونات المثقفين ومناقشتهم الفوقية عن العدالة و المساوات في ظل الحكم الاستعماري، و وهم التعايش السلمي بين الاهالي و المعمرين، عن طريق الدعوة الى الاندماج و الزواج المختلط، لتتنزل الى الطلقات الدنيا من المجتمع، و تتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب و تصف احوالهم المعيشية القاسية و معاناتهم من الجوع و الفقر و القهر، و لأول مرة تتحدث عن النضال السياسي الجزائري، وعن مناضلين يعيشون في الخفاء، مطاردين من قبل البوليس الاستعماري و هذا ما نجده ايضا في اعماله اللاحقة لا سيما في روايتي الحريق 1954 و مهنه الحياكة اللتين تشكلان امتدادا و تكملة للدار الكبيرة، فقد كشفت الاولى عن عالم البؤس في الريف، ومعاناة الفلاحين من الفقر المدقع و الاستغلال الفحش، و قهر المعمرين لهم، و صوّرت الثانية حياة الحرفيين في المدن التي لم تكن تختلف في شيء عن حياة الفلاحين البائسة.¹

و ظهرت في هذه الفترة نفسها اعمال روائية اخرى لكتاب اخرين تسير في الاتجاه نفسه الذي سارت عليه اعمال محمد ديب الاولى، منها رواية : السبات العادل" لمولود معمري و "نجمة" لكاتب ياسين، فقد كشفت الاولى عن حالة التخلف و الفقر و الاستغلال و الحرمان في القرى القبائلية المنعزلة في رؤوس الجبال، في حين تعرض الرواية الثانية حالة

1- احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، مرجع سابق، ص 109-110.

البطالة و الفقر المدقع الذي يعيشه الجزائريون في المدن و الاستغلال و المهانة التي يتعرض لها العاملون باليومية في ورش المعمرين, وهو ما يضاعف احساسهم بالظلم .

ان هذه الروايات لم تنتشر في الجزائر و انما نشرت في فرنسا, و في دور نشر معينة و معروفة , حيث وجدت تعاطف معها من قبل مثقفي اليسار الفرنسي , ووجدت رواجاً لدى جمهور القراء الفرنسيين, وهذا ما عجل بظهور اعمال روائية اخرى , لنفس المؤلفين المذكورين او لمؤلفين اخرين, تعززت بهم و بأعمالهم هذه النزعة الاحتجاجية التي عرف بها الادب الجزائري الفرنسي اللسان في فترة الخمسينيات لتتحول مع الوقت الى نزعة نضالية ثورية ,في اعمال كاتب ياسين , مالك حداد , اسيا جبار في توافق مع الاحداث السياسية التي تطورت بداية من 1954 الى كفاح مسلح, وهذا هو المعنى الذي عبرت عنه الاعمال الروائية اللاحقة التي ظهرت بدءاً من سنة 1958 مثل رواية الانطباع الاخير لمالك حداد التي تعد اولى الروايات التي صورت وقائع الثورة المسلحة , و "صيف افريقي" 1959 لمحمد ديب التي قدمت نماذج من صور المقاومة الشعبية ابطالها فلاحون من الارياف, و حرفيون في المدن , وعرضت لوحات دامية لما كانت تقوم به القوات الفرنسية.

وتنتمي معظم هذه الاعمال الروائية التي ظهرت بعد الاستقلال الى الاتجاه الملتزم و المنحاز الى الثورة المسلحة , وقد اتخذت لها كإطار عام احداث ووقائع الثورة المسلحة من تصوير عمليات الوقائع الفدائية في المدن مثل رواية "العالم الجديد " لآسيا جبار , و ضرب القرى بالمدافع و المداشر وتهديم المنازل كما هو الحال في رواية "الافيون و العصا"... الخ¹

وعليه نقول ان هذا الادب ظل يأخذ موضوعاته من الواقع المعيش و يرصد التحولات الاجتماعية و السياسية التي كانت تحدث في ذلك الحين .

1- المرجع نفسه، ص 111-112.

اثر الثورة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

تُعتبر ثورة التحرير الجزائرية من أكبر الثورات الإنسانية العالمية التي تستهدف تحرير الإنسان من العبودية والاستغلال، سجّل فيها أبناء الجزائر بطولات وتضحيات جسام أجبرت المستعمر الفرنسي على الجلوس لطاولة المفاوضات التي توجت فيما بعد بتوقيع اتفاقية توقيف إطلاق النار وتحقيق الاستقلال التام للجزائر.

وقد كان لهذا الحدث وقع خاص في نفوس الأدباء والمتقنين الجزائريين بصفة عامة حيث أثار النخوة في قلوبهم، وأضرمت فيها نار الثورة والتمرد، فأبرموها حرباً ضارية ضدّ المستعمر الغاشم ليشند الصّراع بين الكيان الجزائري والكيان الفرنسي خاصة مع تزايد وعي الكاتب الجزائري بالأوضاع المتردية التي يعيشها أبناء بلده والمشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعانونها فظهر مصطلح "أدب الثورة" أو "أدب المقاومة" الذي يستهدف محاربة الاحتلال وتعريّة أهداف السّلطة الاستعمارية وكشف نواياها.

سجّلت الرواية الجزائرية حضوراً قوياً في تلك الفترة، فكانت أكثر الأجناس الأدبية بروزاً وانتشاراً، باعتبارها الوعاء الذي يحوي القضية الجزائرية بكلّ معالمها وأبعادها، حيث وجد فيها الأديب الجزائري الشّكل الملائم للتعبير عن قضية شعبه ووطنه وأماله الكبيرة في تحقيق الحرية والاستقلال، فأصبحت موضوعات الرواية الجزائرية في مجملها متمحورة حول حياة الشعب الجزائري بمختلف فئاته وطبقاته، "نجد فيها الجنديّ المقاتل في المعركة، والطفل البائس المتشرد، والسّجن والوطن والموت والتعذيب، والفقر والجوع والحرمان وكلّ ما يتّصل بالسياسة الاستعمارية أو حرب الإبادة التي شنتها فرنسا على الجزائريين، كذلك نجدها تصوّر لنا وقائع الثورة وأمجاد أبنائها وبطولاتهم المتواصلة خصوصاً وأنّ أغلب الكتاب الجزائريين¹

¹ - احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، مرجع سابق، ص 109-110.

كانوا قد وُلدوا قبل الثورة التحريرية" أو أنشائها فجاء التعبير صادقا والتصوير أمينا.

كما شهدت هذه الفترة ميلاد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية والتي أسستها جماعة من المثقفين الجزائريين خريجي المدارس الفرنسية أمثال: محمد ديب، مولود فرعون مولود معمري كاتب ياسين وآخرون، الذين حاولوا التعبير عن القضية الوطنية باللغة الفرنسية لغة المستعمر¹.

و بالعودة للأصول الأولى لهذا اللون الجديد من الكتابة في الرواية الجزائرية، والذي تمتد جذوره لفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية حيث كان تعليم اللغة الفرنسية إجباريا ومفروضا، رفض الجزائريون تعلّمها في البداية باعتبارها لغة المحتلّ أو المستعمر، لكنّ انبهار بعض المثقفين الجزائريين بهذه اللغة الجديدة وإعجابهم بها دفعهم لتعلّمها والسعي لإتقانها كمصدر إلهام جديد يمكن اعتباره طريقة جديدة أو أسلوبا جديدا في الكتابة، فكانت الكتابة الروائية في هذه الفترة "محاولات بسيطة أنجزها بعض الكتاب الجزائريين الذين أرادوا أن يختبروا (...). تعبيرهم باللغة الفرنسية ومقدرة كتابتهم بهذه اللغة دون الوقوع في أخطاء إملائية"² إلا أنّ ذلك لا ينفي عن الكاتب الجزائري في تلك الفترة التزامه بالقضية الوطنية ومأساة الشعب الجزائري، لأنّه وبغضّ النظر عمّا قلناه سابقا كان ظهور هذا النوع من الكتابة في الرواية الجزائرية ردا على بعض الروائيين الفرنسيين الذين حاولوا تزييف حقيقة الوضع في الجزائر، حيث جعلوا منها رقعة جغرافية جميلة أبهرت الفرنسيين فقرّروا القدوم إليها، لذلك حاول الجزائريون نقل الصورة الحقيقية للواقع الجزائري آنذاك، حيث صوّروا سياسة القمع والقهر والدمار الذي مارسه فرنسا في الجزائر، كما عالجوا قضية انتشار

1- نور سلمان: الأدب الجزائري في رحاب الرّفص والتّحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981 ص458.

2-- Rabah Soukel: Le roman algérien de langue française (1950-1990)

P23.، 2003، Paris، édition publisud، thématique

العادات والتقاليد الفاسدة في أوساط الجزائريين بسبب سياسة التّجهيل والأُميّة التي مارسها فرنسا عليهم، مع أنّ الكتابة في ذلك الوقت وكما عبّر عنها الكاتب مولود معمري كانت "بمنزلة المقامرة، وأنّ عدد من يرتكب مثل هذه الحماقة كان قليلا"¹ في زمن تُكمّ فيه الأفواه وتُعمى الأبصار. لكن يبقى أن نقول أنّ الكاتب الجزائري في هذه المرحلة أثبت للمستعمر أنّه متمكّن من لغته، يكتبها دون أخطاء نحوية أو لغوية، كما استطاع فضحه وإدانته بلغته وذلك في إطار سعيه الحثيث للبحث عن الهوية الحقيقية للشخصية الجزائرية، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية استطاع المثقف الجزائري الاحتكاك بالعالم الخارجي بمعنى انفتاحه على الحركات التحررية العالمية فازداد وعيا بقيم الحرية والتحرر، وتضاعف إيمانه بوجوده وحقّه في أن يحيا بكلّ مقوماته الروحية والوطنية حيث أدرك أنّ كونه جزائريا يعني أنّه "واحد من المغتصبة حقوقهم بفعل الاحتلال الإستعماري"² فصارت الرواية الجزائرية الفرنسية اللّغة في هذه المرحلة من تاريخ الجزائر تحمل مجالا أوسع للكتابة وأقفا أكبر ورؤية أعمق، إذ اتخذت لنفسها صورة فنية جديدة جعلتها ترتقي وتُصنّف ضمن الآداب العالمية، لتتحول الكتابة وعلى حدّ تعبير الكاتب مولود معمري إلى "إيمان عنيف بشيء يشعر الإنسان برغبة شديدة في إيصاله للآخرين"³ بذلك نقول أنّ الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية كانت في فترة ما بين الحربين العالميتين دعوة لنشر الوعي السياسي والتحرر لتصبح وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أحد الوجوه الأساسية للمقاومة الوطنية ضدّ المستعمر الفرنسي بصراحة أكثر وفعالية شديدة، خاصّة مع اندلاع ثورة التحرير الكبرى التي شكّلت مادّة دسمة

1- عايدة أديب بامية: تطوّر الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) ترجمة: محمد صقر، عن تصريح للكاتب مولود معمري في رسالة وجهها إلى المؤلّفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص59.

2- العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص161.

3- عايدة أديب بامية: المرجع السابق، ص: 59.

يغترف الكاتب الجزائري من أحداثها ووقائعها ليصوّر بطولات أبنائها وأمجادهم في قالب فني أدبي راقٍ حيث أصبحت عنواناً مهماً للروايات الجزائرية التي تفاعلت مع أحداثها، فتوجّهت إلى واقع الوطن والشعب وإلى الظروف القاسية التي يعاني منها بسبب الظلم والبؤس والسيطرة الاستعمارية فصارت الرواية الجزائرية الفرنسية اللغة في هذه المرحلة بالذات طرحة مباشرة وصريحة للقضية الوطنية بلغة المستعمر لإدانتها وفضحه¹.

وخلاصة القول هي أن الواقع الثقافي و تطوره كان خاضعاً للواقع السياسي الذي كانت تعيشه الجزائر ، ومن ثم فقد حمل الأدب الجزائري في داخله كل تناقضات الحركة الوطنية الأمر الذي شجّع اتجاهاته الفكرية و الإيديولوجية ، وأدواته التعبيرية ، بحيث استغلّت اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية ، كسلاح وجهه كتّاب مناضلون إلى صدر المستعمر ، و هذه حالة ربما انفردت بها الجزائر عن غيرها من الأقطار العربية.

وطبيعي جداً، إذن، أن يكون الكتاب الجزائريون جميعاً، كما يقول مالك حداد "قد أدركوا أن التاريخ و الأدب شيء واحد ، وليس علينا أن نختار نحن الكتّاب الجزائريين فلقد اخترنا و انتهى الأمر و التزمنا بالثورة و التحقنا بها دون وجل .

وواضح من قول مالك حدّاد انه لا يطمح إلى تبرير موقفه، بقدر ما يحاول أن يثبت حقيقة هذا الأدب، ومدى التصاقه بالواقع الجزائري و بالثورة الوطنية العظمى. فليس سراّ إذن، أن يكون مالك حدّاد "شاهد عصره واحداً من الذين يشاركون في هذه الدراما "ولم يكن - مع رفاقه - اقل تعبيراً عن القضية الوطنية من كتّاب اللغة العربية. إذ لم نقل انه تجاوزهم من

1- نور سلمان: مرجع سابق، ص: 459.

حيث موضوعية الطرح. ويكفي أن ثلاثية محمد كانت نبوءة صادقة عن الثورة حتى قبل اندلاعها على الرغم من أن صاحبها كتبها بغير اللغة العربية.¹

و من هنا، فليست المسألة، مسألة إعجاب بالحضارة الفرنسية أو عدمها، وإنما القضية قضية ظرف تاريخي، كان أكبر من مجرد الرغبة في الكتابة باللغة العربية. هذا بالإضافة، إلى أن اللغة ليست لمالك حدّاد، أو كما يقول الأديب الجزائري مراد بوربون - "إن اللغة الفرنسية لبست ملكا خاصا للفرنسيين، وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة، بل إن أية لغة إنما تكون ملكا لمن يسيطر عليها و يطوعها للخلق الأدبي أو يعبر بها عن حقيقة ذاته القومية". وليس في الكلام مبالغة إذا وضعنا في اعتبارنا الظرف الخاص الذي كان يعيشه الشعب الجزائري.

وتقول آسيا جبار: "إنّ مادة قصصي ذات محتوى عربي، و تأثري بالحضارة العربية و التربية الإسلامية لا يحد. فانا إذا اقرب إلى التفكير بالعربية الفصحى مني إلى التفكير بالفرنسية دون إنكار لفضل هذه اللغة".

و أما كاتب ياسين الذي طور من أدواته الفنية و انفتح على العامية المهدّبة (اللغة الوسطى) لإيصال أعماله المسرحية إلى أكبر عدد من الجمهور، يقول فيه أحد النقاد الفرنسيين في إحدى المقدمات التي كتبها لروايات كاتب ياسين، إنها روايات عربية مترجمة إلى الفرنسية لأنها كانت تحمل بصدق آلام هذا الشعب. فمن العيب بمكان ضرب هذه الانجازات الأدبية التي أوصلت قضية الجزائر إلى خارج الحدود المحلية.²

1- واسيني الاعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، 1986، ص 68-70.

2- نفس المرجع، ص 71.

التعريف بالكاتب:

ولد مالك حدّاد في الخامس من شهر جويلية 1927 بمدينة قسنطينة. و فيها تعلّم، وقد أحرز على شهادة الدراسة الثانوية، فرع الفلسفة والآداب، كما حصل على شهادة أهلية التعليم الابتدائي. عمل لفترة قصيرة معلما بقسنطينة. سافر مالك حدّاد إلى فرنسا ونال إلا جازة في الحقوق. أقام خلال الثورة الفرنسية بسويسرا، حيث كان يكتب معظم قصصه ويساهم في تحرير بعض المنشورات التي كانت تصدرها "جبهة التحرير". وقد قام مالك حدّاد بعدة مهمات رسمية، فمثل جبهة التحرير في مؤتمر الكتاب الإفريقيين الآسيويين الذي عقد بالعاصمة اليابانية طوكيو.

و ألقى سلسلة من المحاضرات في الهند ومصر ولبنان وروسيا والصين وغيرها من البلدان. بعد الاستقلال التحق مالك حدّاد بوزارة الخارجية فعمل فيها بصفته مكلفا بمهمة في الكتابة العامة، واختير عضوا في لجنة التوجيه الثقافي في المكتب السياسي. كما أشرف في قسنطينة على الصفحة الثقافية بجريدة "النصر" ثم انتقل إلى العاصمة ليشغل منصب مستشارا، ثم مديرا للآداب والفنون بوزارة الإعلام و الثقافة أسس مجلة "promesses" سنة 1969، وشغل منصب أول أمين عام لاتحاد الكتاب الجزائريين في الفترة ما بين 1974 و 1978.

بعد الاستقلال قرر مالك حدّاد أن يتوقف عن الكتابة مصرحا بجملته الشهيرة " اللغة الفرنسية منفاي ولذلك قررت أن أصمت ". وهكذا توفي الكاتب بسرطان صمته في الثاني من جوان 1978، ليكون أول شهيد يموت عشقا للغة العربية.¹

1- بهوني زهيّة و آخرون ، " موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين"، دار الحضارة ، الجزائر، 2003، ص150.

أعماله الشعرية و الروائية

ترك مالك حدّاد أعمالاً أدبية متنوعة في الشعر، والرواية، والنقد، وقد تُرجمت إلى عدّة لغات كالعربيّة، والإيطاليّة، واليابانيّة، والإسبانيّة، والروسيّة...، كما أعادت سلسلة الجيب 18/10 نشر أعماله، وما يميّز هذه الأخيرة أنها تباع بشكل جيد¹، ناقش في هذه الأعمال عدة قضايا تتصل اتصالاً وثيقاً بالتجربة الخاصة التي عاشها، المتمثلة أساساً في ذلك الامتزاج الفريد بين مرجعية إيديولوجية جزائرية، ومرجعية لسانية فرنسية، وما يتصل بهما من امتدادات حضارية، وتاريخية على قدر كبير من العمق، والتعقيد، ومن ابرز اعماله ما يلي :

1- أعماله الشعرية:

بدأ حدّاد نتاجه الأدبي بمجموعة من القصائد كتبها في الفترة ما بين 1948-1950، وقام بنشرها في مجلتي الحرية، والنهضة، ثم أعادت دار La Nef De Paris نشرها في ديوان مستقل حمل عنوان "الشقاء في خطر" سنة 1956 ، ولأن الشاعر عاش فترة طويلة في فرنسا، غاص بقوة في شعر المقاومة الفرنسيّة ، الذي يُعد من روافد تجربته الشعرية المتميّزة.

ويخاطب حدّاد في أولى قصائد هذا الديوان صديقه الشاعر الجزائري، وقد استهل خطابه هذا بعبارة "أنا لست جزائرياً وكفى" ولا يعني ذلك تنصله من هويته كجزائري بل عجزه عن الإحساس بهذه الهوية، فضلاً عن افتقاره للمقومات التي تعزز إحساسه بذلك، وما زاد الأمر صعوبة وجود هويّة ثقافيّة أجنبيّة لا تتوانى عن جذبه إليها، ولهذا لم يكن يعتبر نفسه جزائرياً بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، و دلالات.

و في هذا الديوان قصائد تتخللها خواطر عن الحب، والصداقة، والأمل، كما يضم قصائد عن الوطن، وذاكرته الجريحة في الثامن ماي (1945) ، وآلام الغربة، والمنفى، وقد تحمّل

1- احمد دوغان ،شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر(دب)، 1989، ص75.

عنوان هذا الديوان رمزيا عبء مُساءلة هذه الأوضاع التاريخية التي عاشتها الجزائر في تلك الحقبة، إذ يفصح العنوان عن " هول الكارثة " التي يقف أمامها الشاعر شاهدا وكاتبا، من خلال هذه الصورة الشعرية " الشقاء في خطر¹، ومن تجليات تأثره الشديد بهذه الأحداث أنه كتب قصيدة مستقلة حملت عنوان " يوم هو الثامن ماي"، لتعبر عن معاناة الإنسان الجزائري، وما وقع عليه من ظلم، يقول الشاعر:

يوم هو الثامن ماي

لكن ما الثمن؟، كي نفهم

وكم عدد المعلمين لمثل هذا الدرس

وكم نحتاج من العازفين لكي نحب الموسيقى، يوم هو الثامن من ماي...

وصدر الديوان الثاني لحدّاد المعنون بـ " أنصت وأناديك " سنة 1961 ، وتجربة حدّاد الشعرية في هذا الديوان بدت أكثر عمقا، ونضجا، تماشيا مع تجربة واقعية التي لم تكن عادية في الغالب، وهكذا تجلّى خطاب مالك حدّاد الشعري مرة أخرى كعالم للتنفيس عن القهر، والجهر بجراح الوطن ومعاناته ، يقول:

إليك أيّها الشعر الثائر

أردف ابتسامتي

وأهديك

المولود الجديد

وللآخرين أهدي

1- عمارة كحلي، كتابة مالك حداد من منظور جمالية التلقي، إشراف د.بن عبد الله الأخضر، جامعة وهران، 1999، ص202.(رسالة ماجستير).

هذا التوازن النسبي

بين ازدياء شاعر

وموهبة خارج عن القانون

فلا يسعه الشّعور بالسّعادة، والتّوحدّ معه ذاته، والنّورة على ما هو عليه، إلّا وهو يكتب أشعارا من صميم روحه، وإذا ما تحقّقت ثورته كبرت الكلمات حينها فقط يسعه الإبتسام؛ لأنّه بذلك يكون قد ولد من جديد، أمّا في نظر الآخرين فهو رجل يزدي ما حوله، ويستغلّ موهبته كخارج عن القانون، ومع ذلك ما يزال محتفظا بتوازنه النسبي، أما الصمت، والسمع، والحياة، والموت، والذكرى، والنسيان فلها تجليات إيديولوجية أخرى في قاموس حدّاد الشّعري، حيث تبتعد كثيرا عن المعاني المألوفة، يقول:

أنصت وأناذك

تذكّر هذا

إني ميّت معهم¹

وما يميّز هذا الخطاب أنّه مفتوح، وموجّه إلى القارئ في كل زمان ومكان؛ بما أنّه يفتقر إلى هوية محدّدة، والموت هنا ليس حقيقيا، بقدر ما هو تعبير عن حالة نفسيّة متأزّمة، أمّا أولئك الذين مات معهم فهم من ضحّوا بحياتهم في سبيل غد أفضل، لا مكان فيه لقائل هذه الكلمات؛ لذا كان موته قدرا محتوما حسب اعتقاده. واللغة الشّعريّة في هذا المقطع تقضح يأس الشّاعر، و توحدّه مع الماضي الذي مات معه، أمّا وجوده في الحاضر فهو شكلي، وهكذا تطرح عبارة " إني ميّت معهم " أشكالا من تأزّمه النفسي، وقلقه بخصوص الحاضر والمستقبل، فوضعه كمتنفّ جزائري مفرنس يجعله جزءا من الجزائر المستعمرة، أما الجزائر المستقلّة، فلا

1- احمد دوغان، المرجع السابق، ص 76.

يملك شرعية الانتماء إليها، لذا سيكون مجرد لاجئ منفي إلى الهامش في كل شيء، ووضع كهذا لا يختلف كثيرا عن الموت بالنسبة إليه، لكن هذه النظرة المتشائمة تتبدد أحيانا في غمرة التأمل الروحي، والرؤية الفلسفية بعيدة المدى التي امتزج فيها البسيط بالمعقد. و الغالب أن " شعر مالك في ديوانه أنصت وأناديك أقرب إلى المكاشفة الصوفية، والنفس الصوفي في تعبيره عن حساسيته لليتم والمنفى؛ ذلك أن الشاعر قد كتب ديوانه وهو منفي عن وطنه، وبعيد عن أصدقائه الذين تصله أخبار استشهادهم واحدا بعد آخر؛ لذلك تخفي أشعار الديوان في علامات بياضها حزنا دفينا لشاعر متألم وحالم في الوقت نفسه " ، إنها الشعرية حين تصبح مجالا للروح، وخطابا للروح والوجدان، ومرآة للذات في تجليها عبر الكلمات. وتبدو أشعار حداد في هذا الديوان واضحة، وقد صيغت في قالب تعبيرى بسيط، عكس تجربة فنية ناضجة، تبلورت لديه منذ أيام الدراسة الثانوية، بفضل اطلاعه الواعي على تيارات الفكر الإنساني العالمي، وهكذا تأسس لديه حس فني واع استمد من المعارف والخبرات التي استقاها من التعليم والمطالعة، كما أدرك رسالته كأديب، بعد مساءلة الواقع، وقضايا الإنسان ، ويأبى مالك إلا أن يكون نتاجه ملتزما كغيره من الشعراء ذوي التعبير العربي.¹

¹ - المرجع نفسه، ص 77.

2- أعماله الروائية

يمثل التشكيل الروائي عند مالك حدّاد عالما آخر بما يكتنفه من تلميح، وإيحاء، وشعرية مطبوعة بطابع الالتزام، وقد كرس الأديب هذا العالم لمناقشة أزمة التمزق بين حضارتين وتلك العلاقة المتناقضة والمعقدة بين الجزائر وفرنسا، وقد عبر عن ذلك كله في فترة حرجة من تاريخ بلاده، حيث أصدر كل أعماله الروائية بعد اندلاع حرب التحرير، وهي على التوالي الانطباع الأخير سنة 1958 و ساهبك غزالة سنة 1959، و التلميذ والدرس سنة 1960، و رصيف الأزهار لا يجيب سنة 1961.¹

وقد اختار حدّاد مدينة قسنطينة لتكون مسرحا للأحداث في روايته الأولى "الانطباع الأخير" التي سلط فيها الضوء على حياة البطل سعيد المهندس الجزائري الذي قام ببناء أحد الجسور؛ ولأن أفراد الجيش الفرنسي قد استغلوا هذا الجسر في العبور بعتادهم الحربي من أجل تدمير المزيد من القرى والأرياف الجزائرية لم يجد الثوار حلا آخر سوى تدمير هذا الجسر لإعاقة مراكب الموت، التي لا تفقه سوى لغة التخريب.

فسعيد كان مرتاحا في مهنته كمهندس، فخورا بأول إنجاز معماري في حياته المهنية، المتمثل في ذلك الجسر الذي قام ببنائه بعد تخرجه، فهو لم يكن ليفكر في الإلتحاق بالثورة، لكن الثورة اتصلت به من خلال الثوار الذين قرروا تدمير ذلك الجسر، وطلبوا منه أن يزودهم بمعلومات تساعد على فعل ذلك، وبما أنه أدرك الناس به، فلا شك أنه على اطلاع بأكثر النقاط ضعفا، وقابلية للعطب فيه²، وبالرغم من أن الثوار قد قدموا له الحجج الكافية للإقتناع بما سيفعل، إلا أنه استغرق وقتا لاستيعاب ما طُلب منه، وللتغلب على الصراع الذي اعتل بداخله بسبب محدودية اختياراته بخصوص ذلك.

1 - محمد الطمار، مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005، ص276.

2- صليحة بردي: التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد، إشراف عبد القادر توزان، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2011-2012 (رسالة ماجستير)، ص157.

واختيار حدّاد لمدينة قسنطينة، يمكن رده إلى كونها مدينة الجسور المعلقة، حيث استغل الكاتب هذه الميزة في منح الفضاء الروائي دلالات رمزية متنوعة، فهي من أهم المدن الجزائرية التي مدت جسور تواصل قوي مع العنصر الأجنبي في مختلف مجالات الحياة، إلا أن جسر سعيد الذي كان يفترض به أن يوطد هذا التواصل، ويعزز روح المفاقة مع الآخر شأنه في ذلك شأن باقي الجسور، قد انحرف عن هذه المساعي الإنسانية بسبب الحرب التي جعلته نقطة عبور لمراكب الموت، لذا كان من الطبيعي جدا أن يحمل الجسر نبوءة دماره التي لا بد من تحقيقها عاجلا أم آجلا، وبذلك ستتحقق القطيعة النهائية والثوار في نظر المحتل هم مجرد قتلة، وقطّاع طرق، وحقيقة الأمر أنهم عكس ذلك تماما، فبوزيد رجل على قدر كبير من المسؤولية، وهو يقدس الحياة، ويحسن ترتيب الأوليات، فالوطن قبل العائلة، والتضحية من أجله واجب مقدس، لكن جديته لم تقتل فيه روح الدعابة، ومن ذلك أنه طلب من والدته ذات مرة أن تأخذ ديك المنزل إلى مصلح الساعات لأنه أصبح يعلن عن قدوم الفجر قبل أوانه، وعقب اندلاع حرب التحرير أدرك بوزيد أن الديك لم يكن في عجلة من أمره، بل هو ورفاقه من كانوا في تأخر دائم.

ويمكن قراءة هذه الدعابة قراءة أخرى، فصياح الديك قبل أوانه بشّر بقدوم فجر جديد من نوع آخر، إنه فجر الثورة، والتمرد على الاستعمار الذي أصبح جزءاً من الواقع الجزائري، وإذا كان الديك مستعجلاً فإن الألوان قد حان ليتدارك الثوار ما فاتهم، فهذه الثورة كان يفترض بها الإندلاع منذ زمن، وما حال دون ذلك تأخر بوزيد ورفاقه في الانتباه إلى صياح الديك قبل أوانه، وعدم إدراكهم لعدة استعجاله الدائم¹.

وفي وصفه لاشتباك وقع بين الثوار والجنود الفرنسيين ركز المؤلف أكثر على تصوير مشاعر المحاربين، وما جال في أذهانهم من أفكار وخواطر في خضم الأجواء المتوترة للحرب، أكثر من اهتمامه برصد الأحداث وتتبعها، كما أشار إلى تفوق القوات الفرنسية عدداً وعتادا

¹ - صليحة بردي ، المرجع نفسه ص 158.

مقارنة بما لدى الثوار الجزائريين دون المبالغة في ذلك. ففي أسفل الطريق تطلق الدبابات نيرانها دون أن تحدد أهدافها، ولأن الطائرة عاجزة عن رصد الهدف استخدم الجنود المنظار، أما جهاز الراديو فيترقب الأخبار بفارغ الصبر، وخلف الصخور كان الثوار يراقبون، وبوزيد يؤجل إطلاق النار إلى أن تصبح الطائرة أكثر انخفاضاً، ويصبح الموت أشد اقتراباً، وكان بوزيد هادئاً ينتظر قدر المستطاع أن يخيم الليل؛ لأن الليل صديق لأولئك الذين لا يملكون الطائرات أو دبابات، و الصخور صديقة لهم.¹

و عدم التكافؤ بين طرفي الصراع واضح، إذ لا يملك الثوار سوى ذخيرة محدودة يفكرون ألف مرة قبل استعمالها، خلاف دبابات المحتل التي تطلق النار عشوائياً كلما عجزت عن تحديد أهدافها، وقد عمد الثوار إلى تغطية عجزهم في العتاد بإيمانهم القوي، وتصميمهم الجاد على الظفر بالنصر، كما وجدوا في الطبيعة ضالتهم، فاتخذوا من صخورها درعا يحميهم من أصحاب الطائرات، والدبابات.

وباقى الأحداث تفاوتت من حيث أهميتها، منها ما تعلق بالبطل سعيد وعائلته، وأصدقائه الأجانب، وكذا مواقفه من الأحداث التي عاشتها البلاد، وقد عبر عن ذلك بالاعتماد على أساليب متنوعة خاصة الإيحاء والرمز، ووصف مشاهد متعددة من الحياة وأجواء الحرب التي صنعتها كثرة الدبابات، والسيارات المصفحة.

وفي سنة 1958 اصدر مالك حدّاد رواية " سَاهِبِك غزالة " يروي فيها قصة حب بين سائق شاحنة، وفتاة شابة تعيش في الواحة التي يتوقّف فيها السائق ليستريح وهو في رحلته عبر الصحراء، فالكاتب في رأي مالك حدّاد لا يلتزم إلا بشخصيات روايته لكنّه لم يهمل ثورة التحرير و المجاهدين الذي كانوا يقاتلون من اجل أن يحققوا السّعادة و الخير لشعبهم، أو من اجل الغزلان.²

1- صليحة بردي: المرجع نفسه، ص 159-160.

2- منتديات الساخر، موقع على الانترنت، ملف الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية.

وفي سنة 1960 صدر لحدّاد رواية "التلميذ و الدّرس" «وهي من ناحية أخرى تمثل الحلم ببناء غدٍ أفضل، يسوده الحب، ووضع حد لهذه "الدروس الحضارية العنيفة"، وذلك من خلال قصة حب بين جزائري وفرنسية، عبّر من خلالها عن التقاهم المستحيل بين الغربي لظالم، والعربي المقهور، إذ كان ذلك في ظل القهر الاستعماري، وبطشه، ومعاملته للآخر وكأنه لا شيء، أو لا قيمة له كإنسان»¹.

و تتجلى مهارة حدّاد في الطريقة التي بدأ بها قصته، والتي ينطبق عليها قول تشيخوف: "القصة الجيدة محذوفة مقدمتها"²، أمّا عن أحداث هذه الرواية فتتمحور حول طبيب جزائري في سن الكهولة يدعى صالح إيدير الذي يحاول عبثا نسيان هويته كجزائري، وبالمثل لم يستطع أن يكون فرنسيا قلبا وقالبا، ولم يندمج كلياً في المجتمع الفرنسي، وبقي ضميره نائماً إلى أن استيقظ بعد أن تلقى درسا في المقاومة والنضال على يد ابنته فضيلة. و «فضيلة» تحمل دلالة رمزية يفرضها سياق الرواية، فلكونها شخصية جامدة، وغير مجسدة في واقع الرواية، ولا نراها إلا من خلال مخيلة الراوي، نستطيع أن نقول إن هذه الشخصية ترمز إلى الجزائر، وصورتها التي ملكت عليه عقله، وأصبحت تطارده في كل زمان ومكان، وهي كذلك ماضي الجزائر، وتاريخها الذي يسترجعه الكاتب عن طريق الذكريات، وتيار الوعي، من أجل البحث عن الذات، وكشف الهوية»³، وهي رمز للشعب بما أنها رمز للوطن، لذا كثيرا ما تخطر ببال إيدير ذكريات وخواطر عن الجزائر وأهلها، كلّما نظر إلى ابنته، أو تحدّث إليها.

1- الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، (د.ط)، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2009، ص419.

2- عربي دحو، دراسات وبحوث في الأدب الجزائري (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص76.

3- علجية مرحوم، القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية - دراسة مقارنة 1935 - 1962، إشراف اليافي نعيم، جامعة دمشق، 1987، ص110. (رسالة ماجستير).

وأهمّ ما في نص التلميذ والدرس تجسده تلك المفارقة الروائية المتمثلة أساسا في كون الطبيب إيدير يرفض إجراء عملية إجهاض لابنته فضيلة التي تطلب منه ذلك، أما الشق الآخر لهذه المفارقة فيتمثل في كونها قد طلبت منه أيضا أن يساعد خطيبها عمر ووالد طفلها، على الاختباء في بيته لعدة أيام ريثما يتسنى له السفر إلى الخارج، فهو مناضل جزائري مطارّد من قبل السلطات الفرنسية التي أصدرت مذكرة اعتقال في حقّه. وافق الأب هذه المرّة بعد تردد وحيرة، وبين رفض الطلب الأول، وقبول الطلب الثاني يسلط حدّاد الضوء على رمز البطولة في المقاومة الجزائرية لدى فئة يحاصرها التعقيد كتلك التي عرضها علينا في هذه الرواية. و هذه المفارقة خلقت نوعا من المواجهة بين الأب وابنته، حيث يقوم كل منهما باسترجاع ذكرياته، فيظهر الاختلاف واضحا بين جيلها.¹ جيل ينظر إلى آخر نظرة احتقار، ويتكلم أحدهما فيصمت الآخر؛ لأنه لا يستطيع فعل شيء غير ذلك؛ أي الصمت، كما يقوم بمحاكمته والحكم عليه، لكن ما كان يضايق إيدير أن جيل الشباب الذي يتحدث عن المستقبل قد يقرر التوقف متى أراد، والاختلاف بين جيل الأب وجيل البنت يكمن في أن الأول عاجز عن الكفاح، وراضٍ بالحلول السهلة أو الوسطى، أما الثاني فمفعم بالثورة، ولا يدخر جهدا في سبيل الظفر بالحرية، ولا وجود للاستسلام أو التراجع في قاموسه، لذا فهو يمثل حاضر الجزائر ومستقبلها، ولا مجال أمام جيل إيدير الذي اعترف بعجزه أمام تحديات الواقع الجديد غير الإيمان بجيل فضيلة وعمر في صنع غدٍ أفضل.²

وفي سنة 1961 أصدر حدّاد آخر رواياته، وقد عنونها برصيف الأزهار لا يجيب، والبطل في هذا النص يدعى خالد بن طوبال الذي يروي معاناة بلاده، ويسترجع ذكرياته، ويعرض مواقفه من الحياة، والحرب، والحب، والكتابة، والمنفى، وغير ذلك من القضايا.

1- شكري غالي، أدب المقاومة، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970، ص 154.

2- علجية مرحوم، المرجع السابق، ص 166.

ويفتح الكاتب هذه الرواية بسفر خالد إلى باريس، وقد توقع مجيء صديقه سيمون لاستقباله في المحطة، بعد أن أعلمه بسفره مسبقاً، ولسبب ما لم يتمكن من المجيء، وقد تعرّف خالد على سيمون كاج أيام الدراسة الثانوية، حيث كانا من طلاب قسم الفلسفة والآداب آنذاك، وقد التقيا صدفة لدراسة آثار برغسون، وديكارت، ولنسيان ابن باديس، وشعراء الجزائر الذين لم يذكر لهم أي اسم، ولتعلم لغة غير لغة بلادهم، وفي ذلك إشارة إلى البرامج التعليمية التي فرضها الاحتلال، حيث تهتم بفلاسفة الفكر الأوروبي، وتتعمد إقصاء المنجز الجزائري في مجال الأدب والفلسفة، كمحاولة لإعدام الثقافة الجزائرية، وما يتصل بها من فكر عربي.

ومن حين لآخر كان خالد يسترجع ذكرياته عن ثانوية قسنطينة، وعن بلاده التي راحت تضمد جراحها العميقة بمشقة، عقب فصل الربيع الدامي¹، والمقصود بذلك أحداث الثامن ماي 1945، التي هزت « مشاعر الشاعر الجزائري، الأديب مالك حدّاد، ففجرت فيه جملة من المتناقضات التي كان يعيشها مجتمعه، بل أثارت فيه كوامن كانت ذاتية يعيشها لنفسه، فنقلها لنا في "رصيف الأزهار لا يجيب" ²، منتحلاً شخصية خالد. ويقرر خالد زيارة صديقه سيمون في منزله، وأثناء اللقاء تذكر خالد وسيمون الثانوية العتيقة، والأزقة الضيقة، وساحات المدينة، حينها شعرت مونيك بأنها غريبة في هذا اللقاء، وأحست بخطر ما، أما وجهها فازداد شحوباً، ثم سأل خالد صديقه بصوت خافت إذا ما كان في نيته العودة إلى بلادهما؟، فالإقامة في حي رصيف الأزهار لا تطيب مقارنة بالعودة إلى الوطن، وربما يكون لسيمون رأي آخر بعد أن قضى قرابة العشر سنوات في المنفى، وحقق نجاحاً باهراً في حياته المهنية كمحامي، وحظي بحياة اجتماعية مريحة، لقد نسي بلاده التي عبر عن آمالها، وشقائها في الماضي إلى درجة أن العديد من شباب الجزائر يحفظون قصائده. إن الفرق بين خالد وصديقه سيمون واضح، فإذا كانت الحرب هي المرجعية التي تحكم الأول، فإن سيمون قد نسي أمر الحرب تماماً، أما

1- علجية مرحوم، المرجع نفسه، ص 169.

2- عربي دحو، مرجع السابق، ص 70.

مونيك وما أبدته من ارتباك وتوتر فيمكن تفسيره بأنها كانت خائفة من أن يتمكن هذا الضيف الغريب من إيقاظ مشاعر سبق لزوجها أن دفنها في وجدانه، وأكثر ما كانت تخشاه أن يستيقظ ضميره الوطني ويحس بالمسؤولية تجاه ما تعانيه البلاد من شقاء وألم بسبب الحرب. وهكذا أصبح خالد الكاتب الصحفي رمزا لكارثة متنتلة في نظر هذه الأسرة السعيدة التي لا مشاكل لديها، فقد قررت مونيك التخلي عن اللطافة في التعامل مع زوجها، لكي لا تتيح له أي فرصة للحوار والمناقشة بخصوص مسألة مصيرية كتلك التي توقعت أن يطرحها يوما ما، فالأمر محسوم سلفا بالنسبة إليها. وسرعان ما حاولت مونيك التقرب من خالد بغية احتوائه، ولكنها لم تغلح في ذلك، وقد أشار الروائي إلى هذه العلاقة غير المتوافقة بتولي مونيك قيادة السيارة في طريق الذهاب، ثم تنازلت عن ذلك لخالد في طريق العودة، ومونيك هي رمز للحضارة الأوروبية التي لا تدخر جهدا في الانتشار، وابتلاع الأفراد والثقافات الأخرى، لكن التأثير الكبير الذي مارسه على مثقف كخالد

خلق لديه نوعاً من الصراع الذاتي، والارتباك الثقافي، دون الإستحواذ عليه كلياً. أما وريدة فهي زوجة خالد، ورفيقة وحدته، امرأة ثائرة تحن للعيش في الجبال، وتخبر زوجها عن العائلة، والبلاد وما تعانيه من اضطراب بسبب الاضطهاد والقمع، من خلال الرسائل التي تبعث بها إليه، لكن فجأة توقفت وريدة عن إرسال الرسائل، وظل خالد على ثقته بأن زوجته تشاركه المصير، وتحمل في قلبها الآمال التي يحمل، وبدأ بالتماس الأعذار لها، وافترض بأنها قد انضمت إلى الآخرين لكي تمثله لديهم بعد غيابه¹.

وذات ثلاثاء يقرر خالد مغادرة باريس، والعودة إلى الوطن، دون تردد؛ لأن أوان التراجع قد فات، فرصيف الأزهار لم يعد يجيب مع أنه أصبح شاهداً على فشل امرأة في الحصول على السعادة، وخيبة أمل رجل في العثور على صديقه، ولا شك أن تغييراً جذرياً قد طرأ لكي يقرر

1- عربي دحو، "رصيف الأزهار لا يجيب" واقع مجتمعين في مرحلة زمنية، ع 73 - 74، الجزائر، السنة الثالثة عشر، 1983، ص 55.

خالد العودة فجأة، وهذا التغيير لن يكون سوى استقلال الوطن وتحرره من قبضة الاحتلال، لذا كان من الضروري أن تعود المياه إلى مجاريها بما في ذلك عودة خالد إلى وطنه.

وفي إحدى الجرائد قرأ خالد في الصفحة الثالثة خبراً عادياً كُتب بحروف مائلة صغيرة، تحت عنوان "ازدياد النشاط الإرهابي في الجزائر"، وورد في نص الخبر أن جماعة إرهابية قتلت امرأة مسلمة وضابطاً من المظليين في شارع "كاف شكاره" بمدينة قسنطينة، وهذه المرأة قد عبرت في وقت سابق عن إيمانها بالجزائر الفرنسية، لاشتراكها في حملة للدعاية قامت بها زوجة أحد الجنرالات، بعد أن قطعت علاقتها بزوجها خالد بن طوبال الذي يدّعي أنه كاتب، وما كان له أن يمارس نشاطاً ثقافياً كهذا في مثل هذه الظروف لولا تعاون السلطات.

صُدِم خالد بهذا الخبر، ولم يفعل شيئاً حياله غير لوم وريدة على خيانتها، ثم قرر النزول إلى الدرك الأسفل من الجحيم، وتمنى أن يغض الله الطرف عنه لحظة نزوله، ثم رمى بنفسه إلى السكة الحديدية ليلتحق بملكوت السماء، أين سيلقى الجزاء، والعقاب الذي يستحقه. وهذه الجماعة الإرهابية ما هي إلا جيش التحرير الوطني الذي ما كان له أن يأخذ هوية أخرى لدى الفرنسيين غير هذا الوصف، وقد قام أفراد هذا الجيش بقتل وريدة بعد أن ثبتت خيانتها، لكنها وريدة التي أنزلها حدّاد منزلة الأم، والوطن، والمرأة الجزائرية المناضلة في نصه، فكيف لها في نهاية المطاف أن تقترب خيانة كهذه؟

إن موت وريدة ما هو إلا رمز لموت الجزائر المستعمرة، لكي تولد جزائر أخرى حرة، ونقية، وطاهرة، وعفيفة، وأصيلة، وإنسانية إلى الأبد¹، ولهذا استقبل خالد خبر الاستقلال بابتسامة غبي محطم؛ لأنه وإذا كان هناك دائماً مرفأً يستقبل آخر سفينة تنجو من الغرق بسبب العاصفة، فإنه لم يجد لنفسه مرفأً يستقبله. وإذا كان خالد قد استقبل الاستقلال الذي انتظره طويلاً، هذا الاستقبال الغريب؛ فبسبب شعوره بأن شيئاً ما بداخله لم يتغير، يتمثل في كونه ما يزال مستعمراً، فهو جزء من ذلك العدو الذي تم طرده، واكتشف في الآن ذاته حقيقة عجزه عن

1- عربي دحو، المرجع السابق، ص 75.

التعايش مع هذا الوطن الحر كواحد من أبنائه، ينطق بلغته، ويعي جيدا عاداته وتقاليده، وكل ما له صلة بثقافته، وحضارته، ولأن خالد أدرك أنه مجرد بصمة من بصمات الجزائر الفرنسية، جزائر الماضي المستعمرة، قرر الانتحار في سبيل جزائر المستقبل، المستقلة تماما عن فرنسا عسكريا، وثقافيا.¹

1- عربي دحو، "رصيف الأزهار لا يجيب" واقع مجتمعين في مرحلة زمنية، ص 59.

مواقفه الإيديولوجية و السياسية

تركت فرنسا بصمة واضحة في حياة" مالك حدّاد "كأديب أربكته الازدواجيّة في الهوية الثقافية، وكفرد جزائري تأثر بالحياة القاسية التي عاشتها بلاده تحت وطأة الاستعمار، وبناء على ذلك تحددت مواقفه من اللغة الفرنسية والكتابة بها، ومن فرنسا واحتلالها للجزائر، فما طبيعة هذه المواقف؟، وما أثرها في حياته؟.

1- موقفه من الكتابة باللغة الفرنسية

مالك حدّاد من كتاب اللغة الفرنسية في الجزائر الذين " لم يُسمح لهم بتعلم لغة بلادهم"، لكنه ليس كأبي واحد من هؤلاء، ولا حتى أولئك الذين قرّروا الانتماء إلى الجزائر ببطاقة هوية؛ لأنه ثار على ذاته معتبرا اللغة الفرنسية منفاه الحقيقي الذي حرّمه من الكتابة بلغته القومية المتمثلة في اللغة العربية.¹

واتخذه لموقف كهذا ميّزه عن باقي الكتاب، وشكّل لديه اتجاها فنيا وفكريا، جذب انتباه بعض الباحثين والمفكرين، وأثار اهتمامهم، فسلطوا الضوء عليه، في حين حاول بعضهم رصد أبعاده المختلفة، ولهذا غالبا ما كانت الدراسات النقدية العربية عن مالك حدّاد تنصرف إلى تحليل إشكالية التعبير باللغة الفرنسية التي عانى منها شأنه في ذلك شأن عدد من أدباء الجزائر.

و يكاد لا يخلو أي مرجع نقدي أجنبي درس أدبه من التطرق إلى هذه الإشكالية التي أصبحت مأساة بالنسبة له بكل ما تعنيه الكلمة، ومناقشة عبارته" الفرنسية منفاي "مناقشة إيديولوجية كانت من الموضوعات المفضلة لدى بعض النقاد.²

1- عمر بين قينة، أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب - دراسة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص105.

2- الطيب ولد العروسي، مرجع سابق، ص 126.

أما عن السياق الذي ذُكرت فيه هذه العبارة فقليل أن الكاتب الفرنسي غابرييل أوديزيو قال ذات مرة: "إن وطني هو اللغة الفرنسية"¹ "مبدئياً إعجابه بفرنسيته، ومظهرها ولاءه لها، فما كان من حدّاد إلا أن يجيبه بكل ثقة، ولهجة التحدي قائلاً: "إن اللغة الفرنسية هي المنفى الذي أعيشه" وعبارته هذه تعد من أشهر مقولاته.

فكلما ذُكر حدّاد من قريب أو بعيد ذُكرت هذه العبارة، وهي إن دلت على شيء إنما تدل على إحساسه العميق بالاغتراب في الكتابة باللغة الفرنسية أكثر من أي أديب آخر؛ لأنه أدرك وضعه الشاذ، فلسانه الفرنسي لن يجعل منه كاتباً فرنسياً مادامت روحه عربية، تؤمن بالواقع الجزائري، وتسعى إلى الالتحام وإياه، كما أن هذه الروح لن تمنحه صفة الكاتب الجزائري بسبب جهله للغة العربية، الأمر الذي خلق لديه صراعاً نفسياً حاداً كان من الصعب التخلص منه. وقد عبّر حدّاد مراراً عن شعوره بالنفي وهو يكتب باللغة الفرنسية تعبيراً يعتصر ألماً ومرارة، مؤكداً اعتزازه بلغته القومية التي يعجز عن النطق بها، وبانتمائه الوطني، وأصالته العربية، بالرغم من وجود رطانة في أدبه قد تصدم المتلقي؛ ولهذا قال الأديب مخاطباً قارئه لا تلمني إذا ما صدمتك رطانتني، لقد أراد لي الاستعمار أن أحمل اللكنة في لساني، وأن أكون معقود اللسان²؛ أي أن رطانتته، ولكنته، أو ذلك الكلام الغامض غير المفهوم في أدبه، إنما هو في الأصل نتاج تشويه ثقافي مارسه الاحتلال الفرنسي في حقّه، وسيكون من غير المنصف أن يلومه القراء على ذلك. ولا يقصد حدّاد بكلامه هذا عجزه عن التحكم في الفرنسية كلغة، بقدر ما يقصد عجز لسانه الفرنسي عن استيعاب أفكاره الجزائرية، فللفكر خصوصيته، وللغة خصوصيتها، وإذا ما كانا من عالمين مختلفين قد يصعب تواصل أحدهما مع الآخر، فحدّاد «كان يتقن اللغة الفرنسية إتقاناً جيداً، ولكنها، كلغة لم تطغ على مشاعره، أو تسيطر

1- أحمد دوغان المرجع السابق، في الأدب الجزائري الحديث، ص 332.

2- عبد الله ركيبي، أحاديث في الأدب و الثقافة، (د.ط)، دار الكتب العربي للطباعة و النشر و التوزيع، القبة، الجزائر 2009، ص 10.

على وعيه وتفكيره كما حدث للبعض، بل كان ينظر إليها باعتبارها أداة يعبر بها عن فكره، وتجاربه، ومشاعره، كان رحمه الله إنسانا وطنيا، مخلصا».¹

لقد كانت إشكالية التعبير من أهم انشغالاته، كيف لا وكل أديب يهدف إلى ابتكار قالب لغوي مرن يستوعب مشاعره الغامضة، والصادقة في الآن ذاته، وكذلك آمال، وآلام، وأمني الكيان الذي ينتمي إليه، ومن الواضح أن لغة حدّاد لم تحقق له هذا الطموح الأدبي، «فهو متمكن من الفرنسية، مقتدر فيها، عارفا بأسرارها، ومطلع على آدابها، ولكنه متيقن أنه لن يبلغ فيها الذروة، ولن يصل إلى ذلك المستوى الذي يجعل الكاتب راضيا عن إنتاجه».²

أكد حدّاد ذلك فقال: «كان علينا وقد حرّمنا الاستعمار من لغتنا الأم، أن نستخدم اللغة الفرنسية، وهي لا شك رائعة، ولكنها ليست لغة أجدادنا، الأمر الذي حملنا على أن نوجد انسجاما تنسيقا بين عبقريتنا القومية، وبين أداة لغوية أجنبية كان لا بد من استخدامها» والمؤسف في ذلك بالنسبة لأديب ومتقف جزائري أنه يطرح في نصوصه قضايا بلده، ويتحدث عن هموم شعبه، في حين يعجز أفراد هذا الشعب عن قراءة ما يكتبه عنهم لجهلهم اللغة الفرنسية، ولهذا قال حدّاد: «إن الكاتب المغربي يتيم القراءة»؛ خاصة أولئك الذين ينتمي إليهم، وينتمون إليه، وهذا ما جعله يشعر وكأنه يتحدث عن الذات مخاطبا الآخر دون أن تعي الذات ما يقوله عنها، ومن وجهة نظر مالك حدّاد فإن وضعها كهذا يستحق فعلا أن يوصف بالمأساة. وجوهر هذه المأساة يتمثل في كون اللغة الفرنسية كانت بمثابة حاجز راح يفصل كتاب الجزائر عن وطنهم الذي يتخذ من العربية لغة له، وقد أطلق حدّاد على هذا الانفصال مصطلح "اليأس الفني"، فالكاتب الجزائري لم يصب بأمراض النفس أو الفكر التي أصيب بها كتاب المدارس الأدبية الغربية، إذ لم يكن أسيرا للقلق الميتافيزيقي، ولم تمزقه الصراعات الإيديولوجية،

1- عبد الله ركيبي، حوارات صريحة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2000، ص190.

2- حنفي بن عيسى، الرواية الجزائرية المعاصرة، الثقافة، ع 8-9، الجزائر، 1972، ص63.

أو التردد بشأن التوجهات السياسية ، لكنه اعتاد على الشعور باليأس، بسبب عجزه المستمر عن التواصل مع أبناء وطنه، ولن يسهل عليه وضع حد لذلك، فقد تم انتزاعه من بيئته اللغوية انتزاعا قبل أن تُتاح له أي فرصة للتعرف عليها، أو اكتشافها. أما يأسه الفني فيمكن رده إلى عدم تمكنه من جعل اللغة الفرنسية تعبر عن جزائريته دون أن يحملها، ويحمل ذاته مالا يطيقان من ضغط وارتباك، ولا يتعلق الأمر بالتواصل غير المباشر بين الكاتب وقرائه عبر الكتابة فحسب، بل وأيضا بتواصله المباشر مع الجمهور، فقد تلقى حدّاد الكثير من الدعوات لزيارة العواصم العربية، وكلما أقبل يخاطب الناس هناك وجد نفسه مضطرا للتكلم معهم باللغة الفرنسية؛ لأنه يجهل اللغة العربية، تلك اللغة التي تربطهم به، وبغيره من الجزائريين، وهذا ما عمّق إحساسه بالعجز واليأس، ودفعه إلى طرح جملة من الأسئلة كما لو أنه ينتظر من جمهوره الرد عليها: لماذا لا تفهمون ما أقول، لماذا لا أستطيع التكلم معكم باللغة التي تربط مصيرنا وطموحاتنا المشتركة عن الواقع الجزائري، وعمّن كان السبب في حرمانني من التحدث إليكم باللغة التي تفهمون، والتي هي وعاء أجدادنا .وكثيرا ما كان يردد قوله :«أنا الجزائري المستعمر من دولة فرنسا لا أستطيع أن أخاطبكم بلغة الأجداد؛ أي اللغة العربية، أتيت لأعبر لكم بلغتها، والأدهى من ذلك أنني صرت بحاجة إلى مترجم لكي يوصل لكم أفكاري، ويفسر لي تساؤلاتكم».¹ كان هاجس اللغة يلازمه كظله، وكانت هذه التساؤلات تحتل تفكيره احتلالا، وتكتسحه اكتساحا دون أن يجد لها جوابا، ومن الواضح أن إشكالية اللغة لديه قد أفرزت إشكالية معقدة على مستوى التواصل، كيف لا واللغة أساس التعامل مع الآخرين، وبما أنه عجز عن التواصل مع الجمهور العربي كان من الطبيعي أن يجد نفسه معزولا في البيئة العربية التي انحدر منها، ولا يمكنه الانتماء إلى غيرها².

1 - حنفي بن عيسى، المرجع نفسه، ص 64.

2- الطيب ولد العروسي المرجع السابق، ص 129-130 .

2- موقفه من الاستعمار الفرنسي للجزائر:

تعرف حدّاد على هذا المستعمر شخصياً، حيث أكد جمال علي خوجة الذي سمع منه تفاصيل مهمة عن حياته، وهو بصدد كتابة أطروحة عن أعماله، بأن مالك وقبل سفره إلى فرنسا أدى الخدمة العسكرية في تكتة" معسكر فراي "بقسنطينة، بعد عودته من الطاسيلي سنة 1950، وقد عرف أثناء هذه الخدمة على يد القائد العسكري أسوء الإهانات، كانت الزنانات رطبة، والأعمال شاقة ملعونة، وعندما تحدث مالك عن الثمانية عشرة شهرا التي قضاها هناك، كان وجهه يأخذ في كل مرة لون الكراهية؛ لأنه لم يعرف أبدا هذا الإحتقار من قبل، وكيف يمكن للقائد العسكري أن يفهم روحه المغامرة، وعالمه الغارق في الشعر، إلا أنه كان يجيد تعذيبه، وسد آفاقه المحضورة.

وحدّاد بطبيعته كان أكثر حساسية ومعاناة من رفاقه، وأكثر تحملا ومقاومة مقارنة بهم، فقد حاولوا عبثا حمل الحجارة ونقلها، وتقشير البطاطا، وتنظيف المراحيض، وسد الحفر، وكم كان صعبا أن نرى في مالك حدّاد العسكري الشاب، ذلك الشّاعر وتاجر الأحلام الذي كان في الطاسيلي يلتهم أشعار " فارلان"، و"لوتريامون"، كانت البدلة مزركشة وواسعة على كتفيه، والحداء العسكري من الطراز القديم الذي شوه قدميه، والخوذة التي تخفي تحتها شعرا معلقا دائما... و هكذا صار صلبا إلى الأبد، وفهم بأن مساره في الحياة مرتبط بمدى ثباته، ومثابرتة، أما لغته فأصبحت أكثر تجردا، وخشونة، وكان ذلك حال تفكيره أيضا¹. ليكتشف فيما بعد أن المستعمر قد جرّده من تراثه الثقافي، وأرضه الجزائرية، وأنه حتى وإن سُلِب حقه في الحياة، فإن الروح قد تضعف، أو تنطفئ شعلتها لكنها لا تموت أبدا، كما تحدث حدّاد عن طبيعة المستعمر، فقال : إن لمسار الاستعمار منطق صارم إنه مسار " انغراس "على المنوال الذي نزع به الغالب راية المغلوب ليعلق مكانها علمه، كذلك قام بتفكيك، واعتراض، ومنع كل ما كان،

1- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل ، بيروت، لبنان، 1992،

وكل ما يمكن أن يكون الدليل أو الناقل لفكرة محلية أصيلة، أو لمجموع وطني، غير أنه وفي الليل الحالك للنظام الاستعماري، كان الإسلام يقظاً» .

وأكثر ما ركز عليه المستعمر الفرنسي في إقصاء شخصية هذا المغلوب هو إلغاء لغته؛ «لأن العقلية الاستعمارية الفرنسية تعلم ربما أكثر من بقية الدوائر الاستعمارية الأخرى، قيمة اللغة العربية في عقول الجزائريين، وأن كافة عرب

شمالي إفريقيا يربطون بين الإسلام ولغته ربطاً قدامياً؛ ولأنهم لا يستطيعون اختراق الوحدة اللسانية الروحية للإنسان الجزائري أولاً، قرروا عزل الإنسان عن لغته عبر سلاحين، السلاح الأول: تعميم اللغة الفرنسية بالقوة كلغة أولى تتلقاها الأجيال، واعتبار اللغة العربية لغة ثانية يمكن اختيارها اختياريًا، وطبقت هذا المبدأ بالعنف كما هو معلوم، أما السلاح الثاني: وهو الأخطر والأخبث، تلخص في تجنيد فريق من العلماء الفرنسيين تحولوا إلى حاشية علمية للسلطة العسكرية الحاكمة في الجزائر، مهمتهم غسل أدمغة الجزائريين، وتصوير اللسان العربي كمضاد للتطور، ومعاكس للحضارة، ومخالف للعلم، وأن اللغة العربية لا تصلح لأكثر من الشعائر الدينية، والشعر، أما لغة العلم فهي الفرنسية.»¹

ومن هذا المنطلق كان حدّاد شديد الحساسية والصراحة في نظريته للمستعمر، بعد أن اطلع على نواياه الحقيقية، وتوقع خطورة مساعيه، وبحكم خصوصيته الثقافية والأدبية لم يكن كأبي جزائري عانى من الاضطهاد، بل كان واحداً من أولئك الذين استغلهم المحتل الفرنسي في إنجاز مشروعه الثقافي الخطير في الجزائر، الهادف إلى فرنسة الجزائريين بكل ما يعنيه المصطلح من معانٍ، إلا أن الثقافة الفرنسية قد ساهمت إلى حد ما في بلورة الوعي الوطني لدى المثقف الجزائري، حيث تأثر حدّاد وغيره من الأدباء بمبادئ الثورة الفرنسية، وبتضحياتها

1- خالد محي الدين البرادعي، اللسان العربي والفرانكفونية وجراحنا القديمة، الثقافة، السنة العشرون، ع

الجسيمة في سبيل الحرية، والكرامة، والإنسانية، وقد تعرّفوا على وقائع هذه الثورة من خلال قراءتهم لكتب التاريخ الفرنسي.

يقول مالك حدّاد : « إن القصص لم تعد موجودة في الكتب بالنسبة إلينا، إنني لا أعرف أسماء إخوتي في الكفاح، ولكنني أعرف أنهم يعطون لمفهوم الحرية مضمونا واحدا، إن مليوناً من الشهداء لا يتحدثون عن الحرية في الفراغ، فلم يبحث عنها أدباء الجزائر في المعاجم، وإنما في منحدرات الأوراس، وشوارع وهران، وضواحي قسنطينة، وكل ساحة قتال» وبناء على ذلك كانت «الحرية عنده كل لا يتجزأ، الحرية السياسية، الحرية الفكرية، حرية القول، حرية الرأي، الحرية التي لا قيود عليها من أي كان، ولا إشارات تضبطها أو تحد من قيمتها، الحرية التي تعطي الحق للآخرين مهما اختلفنا معهم، فلا مصادرة للرأي، ولا تحكم في الإنسان فكره، ورؤيته، واجتهاده» . إلا أن حرية مطلقة كهذه لا تحققها إلا ثورة عظيمة، تحرر الإنسان من قيوده، وتمكنه من استرجاع إنسانيته المسلوبة، وهذا ما آمنت به الثورة الجزائرية، وسعت إلى تحقيقه، ولهذا قال حدّاد حين سئل عن ثورة نوفمبر «لقد جدّدنا بها معنى كلمة إنسان». كيف لا، وقد ثارت أساساً على اللاإنسانية، لكي تُعيد للجزائري كرامته، واحترامه لذاته، وحقه في الحياة الحرة، والعيش في أمان، واستقرار، وغيرها من المفاهيم، والقيم التي انتزعها المحتل من قاموس الجزائريين انتزاعاً¹.

1- عبد الله ركيبي، عروبة الفكر و الثقافة ،عروبة الفكر و الثقافة أولاً...المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ، ص:123.

قراءة الرواية

وجد الأدباء الجزائريين في الفن الروائي الشكل الملائم للتعبير عن قضيتهم وقضية شعبهم، والوعاء المناسب لنقل حياتهم وحياة مجتمعهم المستعمر.

وذلك لما رأوا فيه من قدرة فريدة على مسايرة الواقع والتعبير عن الجزئيات والتفاصيل فتجلت بذلك خصائص الأدب الجزائري الناطق باللغة الفرنسية ومميزاته في فن الرواية إلى أن ذاع صيته بين أرجاء العالم وارتقى إلى مصافي الآداب العالمية بواسطة هذا الفن.

وبالطبع فانه بالنظر إلى عدد الروايات الكبير نسبيا، التي ظهرت في الفترة المحددة فقد اخترت رواية " سَاهَبِك غزالة" لمالك حدّاد الذي أراد أن يتقل لنا صورة واقعية عن مشاعره و انطباعات عدد من أفراد الشعب الجزائري الذين عانوا من الوضع نفسه و من التجربة ذاتها أثناء فترة حرب التحرير¹.

فالرواية تتحدث عن كاتب ومثقف جزائري يعيش في باريس حياة بائسة، ويواجه صعوبة في الإحساس بهويته الوطنية، خاصة إذا علمنا بمعاناته المسبقة جراء عدم امتلاكه لهوية شخصية كفرد، فهو لا يملك اسما كباقي الشخصيات، وإنما يُعرف فقط بكونه المؤلف، إلا أنه ثار على ما هو عليه من ركود بتأليفه لمخطوط أودعه بشكل غير رسمي في إحدى مكاتب دور النشر؛ لأنه لم يجد أحداً هناك، فقام بوضعه على المكتب دون أن يدون اسمه عليه، أما العنوان فقد قرر في آخر لحظة قبل انصرافه أن يعنونه بـ " سَاهَبِك غزالة " استجابة لمتطلبات النشر، ولا شك أن المؤلف يحمل اسما عربيا، ولو أنه نسب المخطوط إليه لكانت فرصته في النشر محدودة بسبب التمييز العنصري، أو ربما لأن إحساسه باسمه العربي كجزء من هويته لم يَزَقْ لديه إلى مستوى البوح، والاعتراف. والمخطوط عبارة عن رواية عاش تفاصيلها شاب يدعى مولاي يطارد الغزلان الحية في الصحراء، لكي يهب واحدة ليميناتا المرأة التي طلبت منه غزالة بتلك المواصفات؛ لأن الغزلان حسب اعتقادها لا تكون كذلك إلا إذا كانت حية، لقد كانت

1- صليحة بردي التأثيرات الاجنبية في ادب مالك حدّاد ص 160-161.

الغزالة مهرا لها، ولن يكون هناك مهر يليق بها سوى الحرية المتجلية في غزالة حرة، وطلقة أما اليوتتان ماسون فكان كثير التردد على والد ياميناتا مصحوبا بكاتب الكومندان المسمى كاباش، وهكذا عمل المؤلف على توليد المزيد من الدلالات على مستوى النص المخطوط بوضع ياميناتا موضع طمع من الخونة المقربين من أحد الضباط الفرنسيين.¹

وقد فكر مولاي في إنجاب طفل لإفشال مخطط كاباش، وكان ذلك منصفا بالنسبة لياميناتا فمولاي سيهبها غزالة، وهي ستهديه طفلا، وهذا الجنين غير الشرعي ما هو إلا رمز للثورة التي نظر إليها المحتل على أنها تمرد غير شرعي، في حين تتدلع الثورة من أجل إسقاط ما هو غير شرعي، وإحلال شرعية أخرى تكون أكثر إنصافا، وأهم ما يميز ثورة مولاي أنها تتسم بالخصوبة، وتبشّر بحياة جديدة، سيحقق فيها هذا الجنين وغيره من أبناء الجزائر أملها في الاستقلال الذي كان آنذاك من المساعي صعبة المنال.

أما علي مساعد مولاي في البحث عن الغزالة، وصديقه العربي الذي رسم له المؤلف صورة أكثر إيجابية من الصورة التي رسمها لأكاباش، فقد قام بحشو بندقية الصيد الإيطالية بالرصاص بمجرد أن لمح غزالتين وهمّ باصطيادهما، وكم كان سعيدا باقترابه من الهدف لكن مولاي منعه من استعمال البندقية، وذكره بأن ياميناتا تريدها حية، وعلى هذا النحو انطلقت المطاردة مصحوبة بقلة صبر صياديّ الأمل، ورغبتهما في الإمساك بغزالة حية، لكن القدر شاء أن تفر واحدة، وتموت الأخرى.

ورأى المؤلف أنه من العدل ألا يمسك مولاي بالغزالة، أما ياميناتا فهي تستحق الحصول عليها، وسرعان ما أدرك أن حاجتهم إلى الغزالة إنما هي بقدر حاجتهم إلى الأمل، وما ذلك في الواقع إلا كفر وتجديف، وإذا كان لا عدل في الإمساك بالغزالة، فإنه من العدل الإمساك بما ترمز إليه؛ أي الحرية التي جعلت الجزائر تكفر بالواقع الاستعماري، و تجدف طويلا في بحر النضال أملا في الحصول عليها.

1- مالك حدّاد، ساهبك غزالة، تعريب صالح القرمدي، الدّار التونسيّة للنّشر و التوزيع 1998، ص6.

وها هي الغزاة تتقدم باتجاه مولاي قاصدة إياه، ولعلها كانت غزاة حقيقية بل لم تكن كذلك، لقد تكرر هذا التعبير عدة مرات في نص الرواية، وظن مولاي أنها غزاة حقيقية؛ لأنها نطقت والسراب لا يتكلم، كما اعتقد بأنها جاءت من أجل يامنياتا؛ بما أن لها صوتا يشبه صوتها، وتوقع حجم السعادة التي ستغمر يامنياتا إذا ما حظيت بولد، وغزاة حية لكنها ليست حقيقية بوجودها؛ لأن الغزال الحقيقي لا يتكلم، وهذا ما يؤكد رمزيته التي سبق لنا الإشارة إليها. ودنت الغزاة من مولاي وأخبرته أنه من الجنون أن يطاردها، ويرغب في اقتناصها، وأنه من الواجب أن يؤمن بها، وبعد سماعه لذلك صوّب مولاي السلاح الذي وضع به حدا لمعاناة علي نحو نفسه وأنهى حياته، وهذه النهاية ليست مأساة إلى الحد الذي قد يتخيله البعض بل كان لا بد من وجود ضحايا من أجل ولادة جديدة.

والغزاة كالحرية لم تكن لتأتي على هذا النحو لولا التضحية التي قدمها مولاي وعلي، وسيكون من الجنون السعي للإمساك بها، بل من المفروض الإيمان بها، وبقدر ما يؤمن التأثير بها، ويضحى في سبيل إيمانه بها، بقدر ما تكون الحرية أقرب إليه من نفسه.

أما المؤلف فعقد العزم على سحب مخطوطه من دار النشر، واعتبرت جيزال ذلك ضربا من الجنون، وتهديدا لمستقبله المهني، الذي لم يكن بالنسبة إليه سوى مرادفاً للصخر الأحمر، والأنفاق المحفورة في الحجارة الدامية، ومقبرة يهودية تمتد فوق حيه، وعربات صغيرة على السكك الحديدية، ما كان على جيزال التفوه بذلك، وهي المعروفة بالذكاء والدهاء، ولا شك أن المؤلف كان مجنونا بما يكفي ليسحب مخطوطه في الوقت الذي استعد فيه عمال النشر لطبعه، لا بل كان في قمة رشده، وانصرف حاملا مخطوطه دون التردد في اجتياز عتبة المكتب.¹

وسحب المؤلف للمخطوط دلالة على وضع حد لحياته الأدبية كما فعل مولاي وعلي بحياتيهما في سبيل الحرية التي ستحظى بها يامنياتا، وقد فعل المؤلف ذلك لأنه لم تعد هناك حاجة لمواصلة النضال بالقلم مادامت الحرية ذلك الحلم الأسطوري قد تحققت، وهكذا انسحب

1- صليحة بردي المرجع نفسه ص 162.

وهو ما يزال في قمة عطائه، وفي جعبته ما يستحق النشر، لذا من غير المنصف أن نفسر انسحابه بالعجز، بل هو موقف آمن به المؤلف، وبشّر باتخاذها إذا ما حققت الجزائر استقلالها. والموقف ذاته اتخذه مالك حدّاد بعد أن استقرأ الواقع آنذاك، وأدرك أن الجزائر ستحرر لا محالة، فبشّر بالتزامه الصمت، والتوقف عن الكتابة بمجرد حدوث ذلك، وقد أشار إلى ما سيُلقاه من استهجان، واستتكار جرّاء هذا الموقف الإستثنائي من خلال ردة فعل جيزال حين اعتبرت انسحاب المؤلف ضرباً من الجنون.¹

1- صليحة بردي المرجع السابق ص 163.

دراسة البنية الفنيّة لرواية سَاهَبِك غَزَالَة

1- شعريّة العنوان و رمزيّته:

يمثّل العنوان أولى الوحدات الدلالية المكوّنة لبنية العمل الإبداعي فهو مرسلّة لغوية تتّصل في لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنّص لحظة الكتابة و القراءة معا فتكون للنص بمثابة الرّأس للجسد نظراً لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية و جمالية، بساطة العبارة وكثافة الدّلالة.¹

فالعنوان يلخص فحوى الكتاب عامة كما قال عنه السيوطي إنه يجمع مقاصد الكتاب بعبارة موجزة في أوله. وهو عند جيران جنيت: "مجموعة من العلامات اللسانية التي يمكن أن توضع على راس النص لتحده، و تدل على محتواه لإغراء الجمهور المقصود بقراءته" وتبقى العنوان تحكّمها الطبيعة الخاصة التي تسم كل نص عن آخر. فسمّة المراوغة و الايحائية و المرجعية تفرّدت بها النصوص الأدبية الإبداعية بشكل خاص لكونها تتمتع بقدرات و حركية زنبقية هائلة، تضع القارئ موضع البحث و التجوال في شتات المعاني التي تقوم عليها النصوص. فاتحة بذلك باب التأويل و مدى مطابقة من "غزّالة" ملك حدّاد لعلها تراودها وتطاردها في فيافي المعنى، وواحات فكره، وكثبان رموزه.. علها تكف عن القفز في مسرح النص؛ صحرائه بباريسية لتستخرج بعض ما سكت عنه، وتقلّنت معانيه مستعصيةً على القارئ الذي اقتحم مفازة طالبا وراءها مغام و سياحة في عالم الروائي.

"سَاهَبِك غَزَالَة" «عنوان يشغل جملة فعلية مكونة من المُفَكِّكَ التالي: (سَدَ /أُهْدِي/كُ/غَزَالَة)

- السّين: حرف زائد يدخل على الفعل المضارع دلّالته مستقبلية الوقوع القريب.

1- ذويبي خنير الزبير : سيميولوجيا النص السردى- مقارنة سيميائية لرواية الفراشات و الغيلان-دراسة، مطبعة دار هومة، ط1، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ص 21.

فحرف السين من الحروف المهموسة . و هو عادة للتنفيس، وتستعمل للحزين، الذي يتيه في دوامة الخيال و الوسوس. حيث تعني الحروف المهموسة السيولة و السهولة و اليسر. كما يعطي إيقاعا و صفيرا في النطق...؛ إذ كثيرا ما يحيل إلى عالم الجن و ما تشترك فيه عوالم الوهم و التخيلات.¹

ليتلخص القول في حرف السين إنه: فعل مرجأ إلى المستقبل، فعل فضفاض يدل على الاتساع. كما يدل على الشك في الوقوع، و نسج خيوط السراب التي تعمل على التضليل و الوهم في الفعل.

- أهدي: فعل مضارع.

هذا الفعل محفوف بصور الهدية و الهدى. ليحيل إلى فعل آخر هو الأضحية من اجل القران كما نعرف عن قصة إبراهيم الخليل -عليه السلام - و ما استتم بعد للمسلمين سنة مؤكدة بفعل نبي الرحمة محمد - عليه افضل الصلاة و ازكى التسليم - و بالتالي تنطق الرواية من عنوانها بالأضحية للقربى بغزلة تشكل فعلا مقدسا يأتي به الكرام .

- أنا: ضمير مستتر وجوبا في الفعل.

فغياب الفاعل و استتاره في الفعل علامة على البعد و احتمالية القيام بالفعل المرجأ ي المستقبل عن طريق حرف السين . لكي لا يتحمل الفاعل تبعات وقوع الفعل و عدم و قوعه و هو ما يتأكد من خلا النص باعتبار إن الغزالة لم يتم اصطيادها ، وبالتالي تعذر إهداؤها ، حتى أدت إلى الضياع في الصحراء، وفاة الميكانيكي، انتحار مولاي للهروب من الموت عطشا

- الكاف : ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول .

1- مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد العاشر، ص:241.

- غزالة: مفعول به منصوب ثاني .

و عليه توزع " سَاهَبِك غزالة " في النص جملةً من الأفعال كلها تفعلُ حركية النص من اجل تحقيق العنوان ، وجعله يسعى لخدمته و السهر على التزامه بتحقيق الأفعال التالية:

- فعل الوعد : الوعد بإهداء الغزالة.

- فعل الإهداء: يتكرر في النص بصيغ متعددة: ("قال مولاي : سَاهَبِك غزالة")¹ أهديك غزالة ؛ إهداء السيد موريس غزالة من قش لجيزل.

- فعل التضحية : تضحية مولاي و الميكانيكي لياميناتا في الصحراء لجلب الغزالة .

- فعل الصيد : محاولات اقتناص الغزالة التي قام مولاي و الميكانيكي.

- فعل الضياع : ضياع الميكانيكي و مولاي في الصحراء لمدة يومين .

- فعل المطاردة: مطاردة مولاي و الميكانيكي الغزالة في قلب الصحراء.

- فعل القتل : ماتت الغزالة نتيجة المطاردة .

- فعل الهروب : انتحارا من الموت عطشا .

- فعل المنح : منح ياميناتا مولاي طفلا "سأعطيك طفلا سيدي "

- فعل الخوف: الخوف من التيه، و ضياع الطريق و الموت في قلب الصحراء.

- فعل الانتحار: انتحار الميكانيكي، و مولاي بسبب التيه في الصحراء و العطش

1- مجلة المخبر، المرجع نفسه، ص: 243.

انتحار الميكانيكي "أراد لميكانيكي ان يفتح اوردته .سقطت سكينه على الرمل " ثم طلب فعل القتل الرحيم من مولاي بالمسدس : "مولاي اتوسل اليك ،هيا، بسرعة هيا ... يجب تناول المسدس الذي يزن طنين. يجب نزع صمام الامن".

ثم انتحر مولاي : "ادار مولاي الى جسده المسدس الذي حرر الميكانيكي "

هذه افعال اساسية في الرواية، ترتبط ارتباطا وثيقا بالعنوان لتنبثق منه كمنطلقات تتحرك ذهابا و ايابا لتشكل حلقة فعلية تحرك شخصيات الرواية ، و تُفَعِّلُها احداثا تتعاضد و تتصاغر، تتناقص و تتزايد، تتصاعد و تتنازل ... قصد احداث الشعرية التي ينفعل معها القارئ لصنع جو من التشويق و الفرجة التي يصبو اليها المتلقي لذة ومتعة.

و كثيرا ما تحيل كلمة غزالة على دلالات مختلفة، و منفتحة على افاق متنوعة؛ حيث تبعث الحماس في تأويل مدلولها، و الوقوف عند ما تُستعمل له كثرة تختزل المعاني الكثيرة في مقول موجز و مختصر . الغزالة رمز و علامة بلغة السيميائيين تحيل الى مدلول و مدلولات.. كأن تفتتح على انها : علامة للصحراء، ورمز للجمال ،و الرشاقة، و الحركية و السرعة.. و ما تسقط كعلامة على المرأة الجميلة الحسن. استعملها الشعراء لاختزال كثير التعبير الحسن المنمق في المرأة و جمالها و التعني به، استعملها أصحاب فن الرسم و التصوير لطبي الصحراء برملمها و كثنانها وواحاتها في لوحة لغزالة ترعى بحبور في واحة غناء.¹

ومن صور حضور "الغزالة" كرمز تمثيلها "للحرية" على أساس أنها كائن حي جميل خلق للنشاط و الحيوية، و تعمير الأرض جمالا و رونقا ينثر السحر و الجمال في كل مكان و بخاصة الصحراء. ليرسم أجواء المتعة و القصدية في المعنى الذي يحيل إليه

¹ - المرجع السابق ص 244.

الأديب صورا و علامات و رموز تحتاج إلى تفكيك و استنتاج لتكشف أو تقارب المعنى المكنون في النص.¹

2- شعرية المكان و رمزيته

تشكل رواية ساهديك غزالة مزاجية بين نصين يتفقان في نقاط الى حد التطابق، كالوقوف عند شعرية المكان و جماليات توظيفه، و ما يشكله من سحرية و تعبيرية كخاصية من خصائص النص السردية.²

- الصحراء

تعد الصحراء بفضائها الواسع وبما تملكه من معالم طبيعية وتاريخية وحضارية: رمزا من رموز التاريخ والحضارة ، كما أنها تعد معلما من معالم العروبة الهامة، حيث أن هذه الأخيرة بفضائها الرملي الواسع بمعالمه غير مكتسب في العالم العربي، فهو ميزة تخص العالم العربي دون غيره، ولهذا عدّت الصحراء رمزا للعروبة وخاصة تميز بها العالم العربي، وصنفت من أهم رموز العروبة، والمكانة التي وضعت فيها الصحراء لم تأتي من لا شيء بل هي نتيجة لما استحوذت به من معالم ومظاهر أثرت في قلوب وعقول ساكنيها و أهلها وأدهشتها، ولم ينحصر هذا على أهل الصحراء فقط بل تعدى إلى جملة الزائرين والرحالة و السواح، فقد أدهشتهم وسحرتهم بمظاهرها المختلفة و المتنوعة و المبهرة و بالمشاعر التي تبعثها فيهم فهي مدهشة بقدر ما هي غريبة، والغريب فيها هو هذا التمييز في المعالم والظواهر، إذ أنها غير موجودة في مكان آخر غير الصحراء.

و كما سبقت الإشارة أن العالم العربي وحده تميز باستحواذه على الصحراء والجزائر جزء من هذا العالم، كما أنها واحدة من البلدان التي تملك هذا الفضاء الرملي الكبير، والمعروف عن

1- مجلة المخبر، المرجع نفسه، ص: 245.

2- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة (د.ط)، الكويت، 1998، ص 134-135.

الصحراء غموضها و سحرها وصعوبة الغوص فيها، وقد كانت الصحراء الجزائرية محل دهشة وإعجاب الزائرين، فقد كان لكل واحد منهم منظور يراها من خلاله.

تظهر صورة الصحراء في الرواية كصورة الصحراء المعروفة، فهي تبدو فضاء رمليا واسعا، و مبهرًا و لكن ما يميزها في هذا النص، هو أنها صحراء ليست عادية بل تُنبئ بدلالات عدّة، بالإضافة إلى كونها فضاء للحب و تبادل المشاعر بين الحبيبان "يمينة" و "مولاي" "كان مولاي عاشقا، و كان عاشقا "ليمينة و كانت" يمينة "عاشقة، كانت عاشقة لمولاي و كانا يتقابلان هناك في (الصحراء عندما يكون لليل باع و مهارة)."

وقد توفرت صحراء الرواية على العديد من المعالم المتنوعة: الواحة، الشاحنة، البرج العسكري، إشارتان إلى العالم المادي الأوروبي.¹

كما سبق وذكرنا أن الحبيبان اختارا مكانا للقائهما والتعبير عن حبهما ومشاعرهما، وقد كان "الكوكومن" ذلك المكان الذي ضمهما، وكان بمثابة حارسا عليهما وعلى حبهما، "وسأيمم" "الكوكومن" مكان القبلات². "لا أن هذا المكان كان بمثابة مكانين، مكان للعشق ومكان للدفن، فقد كان سفح "كوكومن" مقبرة يرقد فيها أناس لا أسماء لهم بمقابلة على ظهره أناس يعيشون حياة الحب والعشق، وهو بذلك يحمل على سفحه معادلة متعكسة حيث هناك أناس يعيشون حياة الفرح والحب والعشق وأناس لا حياة لهم وهم الأموات الذين ينامون في المقبرة، وهذا ما جعل من صحراء الرواية صحراء للتضادّات، فقد كان العاشقان يعيشان العشق على سطح "الكوكو من" والأموات تحته.

- **الجبّال:** لم تكن الصحراء العربية وحدها محل إعجاب الزوار والرحالة، فهناك مظاهر بيئية أخرى كانت محطة انبهار ودهشة لديهم، فقد كانت الجبال العربية هذه المظاهر التي استولت على قلوب وعقول الرحالة والمستشرقين، و هذا لجمالها الطبيعي

1- علجية مرحوم، القضية الجزائرية في الرواية الناطقة بالفرنسية، ص 215.

2- مالك حدّاد، سَاهِبِك غزّالة، تعريب صالح القرمدي، مصدر سابق، ص 32.

و تموقعاتها وأشكالها التضاريسية المدهشة، فقد كانت الجبال العربية محل دراسة لدى المستشرقين، وقد كان لهذا المظهر البيئي الهام مكانه في الرواية، وقد قام "مالك حدّاد" في روايته هذه بذكر العديد من السلاسل الجبلية الجزائرية المعروفة، مثل: جبال التاسيلي وهي سلسلة من الجبال بجنوب شرق الصحراء وجبل الكوكومن و هو جبل من صخر قائم بغاط " بالصحراء الشرقية وكذلك جبل (الكاموس) و هو سلسلة من جبال "تاسيلي" ¹...

قد عرفت هذه السلاسل الجبلية الجزائرية أهمية كبيرة لما تحمله من جمال وروعة و دهشة وعظمة، فقد كانت تتربع على مواقع تضاريسية مدهشة وأشكال مبهرة تبعث في النفس شعور العظمة والقوة والتحدي، فكل من يراها يحس ويشعر أن هذه الجبال ليست عادية بل وراءها سرا، وهذا ليس فقط لما تملكه من أشكال

ومواقع بل هناك سرا وراء هذا الشعور، فهي جبال تدل على القوة والشموخ و التصدي، من المعروف أن الجزائر كان لها نصيبها من الاستعمار كغيرها من البلدان العربية وقد كانت بدايات هذا الاستعمار في الجبال وأول رصاصة معلنه عنه انطلقت من أعالي قممها فهي كانت نقطة تفجير الثورة ضد الاستعمار الفرنسي، كما كانت محطة للعديد من المعارك الجزائرية ضد مستعمرها. ومقبرة لشهداءها، فهي جبال تدل على القوة وشموخ قممها يدل على شموخ أهلها وكرامتهم. كما تدل على التصدي و رفض الاستعمار، وقد عملت على النداء بالحرية والتحرر، وهذا ما بينته تلك المعارك التي قامت فيها وفي غيرها من الأماكن، فقد نادى هذه الجبال كما نادى الجزائر بأكملها بالحرية و التحرر.

إن الأهمية التي عرفت بها هذه الجبال لم تكن جديدة عليها، فهذه الجبال التي كانت نقطة لتفجير الثورة هي جبال شهدت وتصدت لأعنف المعارك في العهد الروماني، فقد كانت محطة للحرب والتحرر

1- مالك حدّاد , المصدر نفسه , ص 49.

إن الدفاع عن الوطن والحرية هو دفاع لاسترجاع الحقوق المسلوبة واسترجاع الهوية الوطنية التي كانت هدف للاستعمار ومبدءا يعمل على القضاء عليه.

إن ذكر مالك حدّاد للطابع الجبلي في روايته لم يأتي هكذا، بل هو إشارة إلى هويته العربية الجزائرية من خلال ملمح من ملامحها البيئية الهامة.

و لم تخلو رواية مالك حدّاد من أسماء الأماكن والمدن الجزائرية المعروفة، فقد ذكر العديد منها :ورقلة" ومولاي ابن مدينة ورقلة"، تامنغاست" إنها" زندار "و" غاو "و" غدامس " و" طرابلس " الغرب و تمنغاست والجزائر العاصمة "ومدينة" تمقاد": ("سأدخل مدينة تمقاد من باب" اجانوس ").¹فذكرها في الرواية لم يكن هكذا بل جاء للدلالة على الهوية الجزائرية وذكرها هو تذكير بهوية الكاتب المفقودة، فكل هذه المدن هي ملامح للهوية العربية الجزائرية، وبهذا تكون الأماكن من أهم الملامح البيئية الدالة على الهوية العربية، وهذا ما يفعله الاستعمار عند استلائه على البلاد فهو يقوم بتغيير أسماء الشوارع والقرى من أسماء عربية إلى أسماء فرنسية وهذا للقضاء على الهوية العربية.

لقد عمل الاستعمار أثناء تواجده على استبدال أسماء الشوارع و المدن والمعالم من العربية إلى الفرنسية، وغالبا ما فرضت على المدن والقرى الجزائرية أسماء لقادة الغزو ومثل: "كروفيقو،مرانقو، بريان، لافيغري، فيكتور هيقو، ديكارت".

و بهذا فالتسمية عنصر هام في الهوية وفي الدلالة عليها، سواء بالأشخاص أو الأماكن، فكل ما هو عربي دل على هوية عربية محضة.

1- مالك حداد، المصدر نفسه، ص 50.

2- الحيوانات:

لم تخلو الرواية من العنصر الحيواني كملح من ملامح الهوية العربية فقد كان رمزاً لها من خلال عنوانها "سَاهَبِك غزالة"، ومالك لم يفصل العنوان عن المحتوى، فقد ركز على هذا الحيوان تركيزاً واضحاً هاما، فأشار إليه وتحدث عنه.

- الغزالة:

لم يخص "مالك حداد" في روايته إهتمامه بالصحراء كملح بيئي فقط بل أعطى لبهائمه بعداً هاماً، وقد اختار من تلك البهائم "الغزالة"، فالمعروف عن الغزلان أنها تلك الحيوانات الجميلة ذات المظهر الساحر، فالغزلان بمظهرها هذا امتلكت مخيلة الفنانين الاستشراقيين، كما أنها وصفت بالحرية و الطلاقة، ومالك الغزالة هو مالك للجمال النادر.

إن الغزالة بجمالها و سحرها و قيمتها تعد عالماً للعشق، فخير العاشقين هو الغزالة. إن هذا الحيوان لا وجود حقيقي له في النص، فغزالتا المخطوط هما غزالتان متخيلتان لأن المخطوط نفسه حكاية متخيلة، وحتى في الرواية لا وجود للغزالة بالرغم من عنوانها.

إنّ غزالتا المخطوط المتخيلتان إحداها تموت والأخرى تفلت وبهذا يفشل "مولاي" في الإمساك بهما، أما الغزالة الثالثة فهي تعد حلماً مستحيلاً، "ليقل القائلون مايشأؤون، فلعلها كانت غزالة حقيقية ليست بحقيقة"¹

الغزالة المذكورة في الرواية هي واحدة من ملامح الصحراء المتخيلة لدى الفرنسيين، أما الغزالة التي يرونها ما هي إلا كائن محنّط و محشو بالتبن "وكانت غزالة محشوة تبناً تنظر إلى الليل من خلال واجهة الدكان البلورية"، وقد تبين أن الفرنسيين هم شعب لا يميز بين الرخيص و الغالي و بين الأصلي و المزيف، فها هم فرحون بالأمانة التي أعطيت لهم ، و التي لا قيمة لها فهي صورة مزيفة عن الأصل، فالغزالة التي أعطاها المؤلف لنادل الحانة ثم أهداها إلى

1- مالك حداد، المصدر نفسه، ص 52.

" جيزيل " غير حقيقية و لا هي أصلية, وهذا يعتبر رد فعل طبيعي، فالغزالة الحقيقية كائن غريب عنهم و لذلك فهم لا يعلمون قيمته .

" كانت الغزالة المحشوة تبنا تنظر إلى " جيزيل "من قلب" الكنتوار " بملء خطمها الدقيق الحاد فقال السيد" موريس:"لقد اتقن صانعها صنعها حتى ليحسبها الناظر حية ،أليس كذلك؟ و سمعت " جيزيل " نفسها وهي تجيب كالصدى:نعم يحسبها الناظر حية.ثم دنت من الكنتوار و شرح لها السيد" موريس "الأمر قائلاً:أن اسم هذا الحيوان هو "غزالة "و ليس معروفاً بديارنا هذه بل أنا أتساءل هل أن هذا الحيوان موجود حتى بحديقة النبات و الحيوان بباريس....

و في نهاية الأمر سألته " جيزال "قائلة:

-من اين اشتريتها؟

فأجابها السيد" موريس "باعتزاز و بشيء من التخميم في القول و هو يداعب الغزالة بيده قائلاً :
لقد أوّتمنت عليها.¹

إنّ تعامل الفرنسيين و تعاطيهم مع الغزالة أبدى صورة مماثلة لصورة الاستعمار مع الجزائر،حيث أن الفرنسيين استحوذوا على بلاد لا يعرفون قيمتها الحقيقية، و قد سعدوا بالاستيلاء عليها أو بالأحرى ظنهم أنهم استولوا عليها،لأنهم في الحقيقة لم يستولوا على هذه البلاد إلا في مخيلتهم، و هذا ما حدث مع الغزالة و الفرنسيين, حيث إنهم تعاملوا مع كائن لا يعرفون حقيقته و قد ظنوا أنهم امسكوا به و في الحقيقة إنهم يتعاملون مع صورة متخيلة في أذهانهم، فهي إما تهرب منهم و إما تموت عنهم و هذا ما حدث لغزالة مولاي.

و قد عُدّت الغزالة ملمحاً من الملامح البيئية للهوية، و ذلك للدلالة التي تمدها في التعبير عن الهوية العربية و كيانها الشخصي فبمجرد ذكرها يتبادر في الأذهان صورة الصحراء و التي تعبر هي الأخرى عن الهوية العربية المتميزة.

1- مالك حداد ,المصدر نفسه , ص:53.

إن ذكرها في الرواية هو ذكر وإشارة إلى هوية الكاتب التي عمل الاستعمار و الغرب على طمسها من خلال القضاء على مقوماتها و ملامحها المتعددة.

3- الشخصية الصحراوية:

الحديث عن الصحراء حديث عن شخصية ساكينيها .وقد تمثلت الشخصية في الرواية بكل ما تحويه الإنسانية من مشاعر الحب و القوة و الخوف و الإقدام و التضحية و العرفان بالجميل و الامتتان... وكل ما يمثل محامد الأخلاق الإنسانية .باعتبار السيئ منها الذي غاب كلية في هذا المقام. لتترك المجال مفتوحا أمام قصة الحب التي وقعت بين مولاي و ياميناتا.حينما أضفت على جو الصحراء الممتع، لذة أخرى الكثير عنها مسكوت في النص. ما جعلت القارئ يستنفذ جميع وسائل الحس و الاستنباط و الفهم و استبطان عمق المكان و الشخصية لبحث متسائلا: هل مازالت قصص العشق و الغرام ، التي استجمعتها من قصص الشعر القديم، وأبطال ملاحم الحب موجودة و حاضرة في هذا الزمن ؟

- شخصية ياميناتا : ياميناتا شخصية ترقية ابنة الطاسيلي أجير من عمق الصحراء التي قال فيها مولاي : " ياميناتا موجودة، اميرة زرقاء تساوي عشرين ناقة بيضاء . تتفتح سنواتها السابعة عشر على صدرها الصلب."

-قالت ياميناتا بكلمات تلج القلب، من تلك الكلمات التي يمكن الاحتفاظ بها مدى الحياة و مدى الموت في تجويف خلود ناعم:...أودّ ان تأتيني بغزالة،غزالة حية.هاهي ياميناتا تقول الكلمات التي لم تعثر عليها الفكرة قالت ببساطة ، و هي تفكّ الوشاح : ساعطيك طفلا يا سيدي و انت ستمنحني غزالة ، ثم قالت في لحظة المعجزة : -احبك .¹

¹ - مجلة المخبر ، مرجع سابق ،ص 249.

- شخصية مولاي : مولاي شخصية صحراوية ابن ورقلة ، امير مفلس .لقد ملك والده من النخيل ما يفوق عدد الاوهام الموجودة في قلب قصيدة ، وبعد ذلك نتوفي الوالد فنشأ البؤس، أصبح مولاي يشتغل سائقا في شركة سيّارات عابرة للصحراء.

يعرف مولاي كل شيء ، يعرف لماذا ينبت الشعر الأصهب في الرمال ، يعرف ماذا تعرف الطريق الأبدية ولا تريد الإفصاح عنه ، وما تعرفه النجوم ولا تريد قوله لياميناتا¹.

هذه الفسيفساء من نصوص الشخصيات التي شكّلت حيز الصحراء ؛ تمثل فلسفة الوجود بأسره ، و الكينونة التي جبل عليها الكون و التي تتمثل في رحلة الموت و الحياة في شكل دائرة تبدأ من الموت لتتطلق نحو الحياة لتنتهي عند موت آخر يبعث فيه حياة جديدة .

4- الشخصيات الأجنبية

عرض مالك حدّاد في روايته الشخصية الأجنبية في سياق السرد المباشر على لسان بطل ذي هوية ثقافية مزدوجة عرضا عبر انطباعه الخاص ومن هذه الأسماء:

- جيزال :

أما جيزال دوروك ذات اللون المفرط في الشحوب، و الجبهة الواسعة فهي كثيرة التدخين كلما بادرت بالتفكير و كأنها في صراع مع أفكارها،إلا أنها تزداد جمالا كلما استغرقت في التفكير، والتأمل،و الغضب أكثر ما كان يناسبها،و يعيد إليها الشباب.²

و هي تحب باريس، ولا تخاف منها، لقد اعتاد كل منهما على الآخر، بل إن جيزال تشبه باريس، في إحدى ورها الممكنة، وصفاتها المحتملة، أما عن القواسم المشتركة بينهما فتتمثل في الشحوب، والغضب، والبسمة، والنظرة الساحرة، والتفكير، والتأمل، والشباب.

1- مجلة المخبر، مرجع سابق، ص250.

2- مالك حدّاد سَاهبِك غزالة، المص السابق، ص 49.

ويرى محمد طالب أن هناك « ربطا واضحا بين غزال، وجيزال، وهو ربط تجانسي لم يأت عفويا، ففي الصحراء مولاي يطارد الغزال، وفي باريس جيزال تطارد المؤلف، إذ يقدم لنا صيغة لبديل لا يمكن أن يحل محل نقيضه، ولا شك أن مولاي ككلمة توحى بالتسليم، وترمز له على لسان يميناتا وتشرف جيزال على إحدى المكتبات، حيث تستلم المخطوطات، وتقوم بقراءتها بتركيز، وأكثر ما لفت انتباهها أثناء قراءتها للأسطر الأولى من مخطوط المؤلف المعنون بـ "سَاهَبِك غزالة"، تشبيه الروائي للمؤلف بلوحة، وإن بدت لها فكرة غريبة إلا أنها سرعان ما انجذبت إليها، فقررت أخذ المخطوط معها لكي تطالعه في تفرغ، وسعة البال، لكن قراءته جعلتها تشعر بضيق نفس شديد؛ لأن المخطوط لم يكن كتابا بل كان مناجاة لا يمكن الحكم عليها، وليس من الواجب الحكم عليها¹.

من الواضح أن جيزال قد احترفت فن القراءة، إلى درجة أنها أصبحت قادرة على التسلل إلى النص، والدخول في صميم كلماته، فتستنتج إذا ما كان المخطوط يأخذ هوية كتاب أم أنه يرقى إلى مستوى المناجاة التي يصعب الحكم عليها؛ لأن النص في حالة كهذه يصبح قطعة من الروح الروائية المحلقة في فضاء البوح، والتجلي.

- فرانسوا دو ليزيو وجان دروك:

لفرنسوا شعر أبيض تتخلله زرقة ظاهرة، وفي عينيه بريق مستمد مما تحورانه من أشياء، لقد كان جميل الخلقة، يجيد الابتسام، ويحسن تأكيد كلامه وإشباعه بالنبرات، والفواصل، والنقط، لقد كان شاعرا يسبح في أفكاره، ومن أناشيده "نواره" الطفلة الصغيرة، أما علامة نسبه الشريف "دي" فتمرح وتسرح في حركاته وإشاراته، إنه يبلغ من العمر ثلاثين عاما قضاها في ملاحظة العالم بنظرة مزوّرة، وإذا كان من واجب الرسول أن يشبه موضوع رسالته، فإن الظاهر فرانسوا يشبه باطنه، وهو مدرك لذلك، لأنه يعرف نفسه عن ظهر قلب، ولا ريب في إخلاصه

1 - مجموعة من الباحثين، الهوية القومية في الأدب العربي، ص 303.

حين يخاطب المؤلف بلفظة "صغيري"، إنه تماماً كباريس العظيمة والضخمة، وربما هو كذلك لأنه فرنسي إلى درجة الاستقباح. وفي سياق تحليل شخصية فرانسوا دي ليزيوا، نتعرف بكل بساطة على شخص آخر من الواقع يدعى "لويس أراغون"، بمكانته الرفيعة من الناحية الفكرية، والأدبية، لذا منح الروائي شخصية فرانسوا علامة النسب الشريف، والمنزلة الراقية، متمثلة في لفظة "دي"، ولا أدل على ذلك من أن الروائي قد وصف فرانسوا بهذه الدقة المتناهية، وكأنه يصف شخصاً عرفه في حياته، وخبره في معظم حالاته، ولفظة "صغيري" التي تعكس العلاقة الحميمة بين فرانسوا والمؤلف تحيلنا على العلاقة الروحية بين حدّاد وأراغون، حيث كان حدّاد يعتبر أراغون أباً روحياً له، أما أراغون فقد تنبأه كما لم يتنبأ أحداً قبله. إنه يعرف منذ زمن طويل أن الروايات القصصية تجوب الشوارع، والصالونات، والمكاتب، أما عن حدسه الفني فكان قوياً بما يكفي لكي يمكنه من الإستنتاج بأن عنوان المخطوط لن يكون إلا "سَاهَبِك غزالة"، بعد أن حدّثه جان دوروك عن موضوعه، وقد اندهش هذا الأخير من استنتاجه هذا، الأمر الذي جعله يتأكد من وجود إفراط في الألوهية هذه المرة، بعد أن اعتبره إلهاً منذ أمد بعيد¹

كيف لا يدرك ذلك كله وهو الرجل الذي كتب عن الأحلام، وعن الأفكار، وعما يجول بخاطره، ويسكن وجدانه، وعن الإنسان في أعقد حالاته، وأجملها، وأصعبها، لقد كان مثقفاً فرنسياً بامتياز، حاول مناقشة العالم من منظور الحقيقة، والذات المدفوعة بشغف المساءلة وجان دوروك Duroc Jean، المعروف بابتسامته التي تشبه الابتسامات الموجودة في صور الإعلانات الخاصة بمعجون الأسنان، أفضل ما كان عليه رضاه عن نفسه، وعن سائر الناس، إلا أنه لم يكن راضياً، ولا مقتنعاً بالمنطق الذي لا يجد ضرورة في إلحاق المخطوط باسم مؤلفه، بحجة أن أعظم الأعمال غالباً ما تكون مجهولة المؤلف، لكنه مضطر للخضوع لقوانين لا يتفق معها، فيمتثل لها مكرهاً، ولا يكف عن مقاومتها ذاتياً². لقد كان شديد السعي وراء الشهرة والمجد، إلى درجة الإنهاك، فلم تعد قواه قادرة على تحمل المزيد، أما عن هوياته

1- مالك حدّاد : سَاهَبِك غزالة , مصدر سابق , ص: 46.

المفضلة فتمثلت في مطالعة صحيفة "لوموند" كل مساء، وإجراء بعض الدراسات الفنية عن الكاتب لوتريامون (Lautreamont) صاحب نظرية الاشتراكية، في حدود العاشرة ليلاً، إذ ينعزل في مكتبه للإشتغال على ذلك، ويقضى الليل كله مع لوتريامون، وينام معه، ولا يفكر إلا بواسطته، بل ويرغب في أن يكون نسخة طبق الأصل عنه.

ولعدم رضاه عن غياب اسم المؤلف من مخطوطه ما يبرره، فإذا كان دوروك محبا للشهرة، والمجد، فمن الطبيعي أن يؤيد فكرة الإعلان عن اسم المؤلف أقله لو كان في مكانه، وإلا كيف سيعرفه الناس، ويحقق طموحه في الاشتهار، والانتشار، أما عن تعلقه الشديد بالكاتب لوتريامون فيعد ذلك من قبيل التوجه الإيديولوجي، وكذلك السياسي، ليكون هذا الكاتب بمثابة المعلم، أو الأب الروحي بالنسبة له.¹

1-مالك حدّاد، المصدر نفسه ص48.49.

اللغة

اعتبر الصراع الحضاري أهم الموضوعات المعالجة في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ذلك نتيجة لسياسة المستعمر داخل الجزائر، حيث أراد تغريب الشباب الجزائري و إبعاده عن كيانه العربي و محو معالم الهوية و الشخصية العربية.

لقد كانت الهجرة من الأسباب الهامة في تأثر الجزائريين بالحضارة الغربية و تعلمهم اللغة الفرنسية، و كانت الطبقة المثقفة شاهدة أثناء الاحتلال على سياسة المستعمر في الجزائر، إلا أن الكثير فرضت عليهم الهجرة إلى فرنسا و البقاء في المنفى.

و الملاحظ في هذه الفترة و هي فترة الاحتلال، و حتى قبلها أن جل الكتاب يكتبون بالفرنسية بالرغم أن موضوعاتهم عربية محضة. فالكتابة باللغة الفرنسية وملتقي فرنسي عن واقع محلي مغربي فيه بناء للهوية بناءا ملتبسا لأنه ركز على احد محددات الهوية و التي هي اللغة.¹

كما سبق و ذكرنا أن الفترة التي كتبت فيها الرواية و هي فترة الاحتلال، انه هناك العديد من الأدباء و النقاد عاشوا نفس الحالة و عانوا من إشكالية الكتابة بالفرنسية. فقد كانوا مجبرين عليها لا مختارين لها، و قد كان "مالك حدّاد" من بين هؤلاء الذين عاشوا حياة اجبروا عليها، فكتابة "مالك حدّاد" باللغة الفرنسية لم تكن خاضعة لرغبته و لا لاختياره، بل هي فرضت عليه فرضا فرغ رفضه الداخلي لها إلا انه وجب عليه الخضوع لهذه الحتمية و العمل بها شأنه شأن الآخرين، فقد تمنى لو انه كتب بلغته و هذا ليصل إلى ما أراد الوصول إليه و تبليغ المشاعر و الأحاسيس التي تكمن بداخله، إلا انه ليست كل الأماني تتحقق.

1 - مالك حداد، ساهبك غزالة، مصدر سابق، ص 59.

عانى "مالك حدّاد" من هذا الحاجز كما عانى منه غيره من الأدباء و النقاد،فهو قد عاش في تلك الفترة منفيا عن بلده، و بذلك فهو خاضع لقانون إجبارية اللغة الفرنسية الذي كان قانونا من القوانين التي فرضت عليهم، و لهذا وجب عليه استعمال اللغة الفرنسية و التحدث بها و الكتابة بها قابلا أم رافضا.

إن رواية " سَاهبِك غزالة" هي رواية ذات هوية عربية بحكم موضوعاتها لا لغتها،فهو تتناول بيئة عربية محضة و هي البيئة العربية الجزائرية، و بالتالي فهو يتحدث عن ثقافته و من يكتب عن ثقافة مجتمعه بغير لغة قومه هذا لأنه لا يجيد التعبير عما يحسه و بالتالي لا يجيد التبليغ عن اصدق مشاعره و بما أن المتلقي فرنسي فهو لا يتأثر لان البيئة التي يتحدث عنها الكاتب هي بيئة لا تخصه و لا يعرف عنها شيئا،و هو بهذا يوصل الرسالة التي يريدّها أيضا لها و لا لمتلق يفهم ما أراده الكاتب.

لقد وجد الكاتب مشكلة كبيرة في التعامل بينه و بين أفراد الرواية، فقد وضع عدة طرق للتواصل معهم بذات اللغة، فمرة قدم نفسه عبر مخطوط بدل الحديث ، و مرة بتشكيله لشخصيات ذهنية كما يراها هو و يقدمها بناء على رؤيته و هذا ما حدث مع "موريس" "سيدي موريس انك الأمير" ¹.

القارئ للرواية يلاحظ أن إشكالية التواصل بالحديث واضحة في التعامل بين المؤلف و "غردا" كلاهما يعانيان من مشكلة اللغة،فالمؤلف لا يجيد الألمانية ولا "غردا" متمكنة من الفرنسية " لقد جاءت من ألمانيا مصحوبة بقاموس" لقد عان كلا من "مولاي" و "غردا" من كيفية التواصل فيما بينهما فكان "مولاي" يلجا إلى سرد أجزاء من روايته على "غردا" في فواصل الصمت بينهما، إلا أن هذا ما زاد الطين بلة "تتاول المؤلف من على طاولة فراشة مخطوطا وطفق في قراءته وأصغت "غردا" إليه فقام الجدار الفاصل بينهم، ولم تفهم شيئا ولكن كان

¹ - صليحة بردي التأثيرات الاجنبية في ادب مالك حدّاد ص 155.

للجدران عيان تنظر بهما "مشكلة التواصل اللغوي أثرت في كلا منهما فتمنت "غردا" لو وجدت حلا لهذا المشكل اللغوي القائم لتتمكن من التعاطي والتواصل مع المؤلف " كانت "غردا" تود لو استطاعت الكلام" ولهذا لجأت "غردا" إلى لغة أخرى في التواصل، فقد بدلت اللغة المنطوقة باللغة الملموسة فقد اختارت طريقة أخرى للتواصل ، وقد كانت آلة "الهر مونيك" هي تلك الطريقة، و هذا كله يدل على فشل اللغة في التواصل و التعاطي معها لقد كان لعنصر اللغة أهمية كبيرة في العديد من المجالات كالمجال التعليمي و الثقافي و لها صلة كبيرة بمجال الهوية، فهي روح العلم و التعليم و معلما من معالم الهوية العربية و فقدانها هو فقدان للهوية بكل معالمها فالعربي هو ناطق باللغة و متمكنا منها و الغير بعكس ذلك و قد كانت اللغة أهم مقومات الهوية و هذا ما أثبتته السياسة الاستعمارية في الجزائر حيث أنها عملت على محو الشخصية الجزائرية و مقوماتها، فقد كانت اللغة العربية هي العنصر الثاني الذي قاومته فرنسا من أجل تحطيم الشخصية الجزائرية و طمس معالم كيانها و هذا يثبت أهمية اللغة في بناء الهوية و الحفاظ عليها .¹

و قد كانت أهم عناصر الثقافة المعنوية و أقوى مكوناتها و أبرز صورها فهي الوعاء الذي تحفظ فيه الثقافة و تنقل بواسطته عبر الأجيال، تبت هذه الرواية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث ان الكاتب متواجدا في المنفى بعيدا عن وطنه وعن الملابس الفكرية والحرية القائمة فيه، إلا أن هذا البعد لم يكن إلا بعدا جسديا، فهو لم يبعد عن وطنه فكريا بل كان متطلعا وعالما بكل ما يجري فيها. إن هذا الحاجز الذي فرض على الكاتب لم يكن حاجزا يبعده و يقطع صلته بأهله و أصدقاءه، بل كان له هدفا آخر، في فصل الكاتب عن ثقافته العربية و لغته القومية، وهذا لم يأتي هكذا بل كان لإجبار الكاتب الجزائريين على ترك اللغة العربية و نسيانها واللجوء إلى استعمال لغة العدو و اكتسابها و العمل بها و هذا ما حدث فعلا، فقد اجبر الكاتب على ذلك حيث أهملوا اللغة العربية ولجؤوا إلى اللغة الدخيلة وتمكنوا منها وعملوا

1- مالك حداد , ساهبك غزالة , مصدر سابق , ص 60.

بها وقد نجحوا في ذلك. كتب هذا النص باللغة الفرنسية وكان هذا نتيجة للسياسة التي فرضتها فرنسا على المهاجرين العرب حيث أجبرتهم على الهجرة ومن ثم فرضت عليهم تعلم اللغة الفرنسية و الكتابة بها، وهذا الشيء مجبر عليهم لا مخير عندهم.

لم يختار مالك حدّاد الكتابة بالفرنسية بل اجبر عليها لأنه لا يجيد العربية " اللغة الفرنسية حاجز بيني و بين وطني اشد وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط....وأنا عاجز عن أن اعبر بالعربية عما اشعر به....إن الفرنسية لمنفاي..."¹

أجبر مالك حدّاد رغم هويته العربية الجزائرية المحضة على الكتابة بالفرنسية عن عالم عربي جزائري، عاش "مالك حدّاد" حياتين في هذا النص؛ حياة الوطن المتخيلة وحياة المنفى في فرنسا، هذه الحياة الأخيرة التي عانى منها مالك معانات باتت واضحة في كتاباته، فحسب رأيه منفاه لم يكن بعد عن الديار وحرمان من الأهل، فالمنفى عنده هو بعد عن ثقافة وطنه ومقومات هويته والتي كانت اللغة أهمها، حيث أبعد عنها كل البعد، فكانت اللغة الفرنسية بمثابة المنفى له " إن الكاتب الجزائري يشعر في قرارة نفسه أنه عربي الدماء،مسلم العقيدة وأنه ينتمي إلى منطقة من العالم لها تقاليد خاصة وعاداتها المميزة ومشاكلها الوطنية مع الاستعمار الذي فرض لغته على أهالي البلاد وحرّمهم من تعلم لغتهم الوطنية، فإذا شاء هؤلاء الكتاب أن يعبروا عن خلجات نفوسهم فإنهم لا يجيدون لذلك من وسيلة سوى اللجوء إلى اللغة الدخيلة لغة العدو، تلك اللغة التي أتقنوها أيما إتقان حتى أصبحوا يظاهون فيها خيار كتابهم، غير أنهم مع ذلك كله ورغم النجاح الذي يصادفونه في ميدان الأدب يشعرون بنزيف هذا الموقف الغريب ويحسون أن اللغة التي بها يعبرون هي بمثابة المنفى لهم، فالمنفى بالنسبة إليهم لا يتجلى في بعد الدار والحرمان من اجتماع الشمل مع الأهل والأصدقاء بل هو أعرق

1- احمد بن نعمان , الهوية الوطنية الحقائق و المغالطات , شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع, برج الكيفان, الجزائر (دت), ص19.

من ذلك، لان المنفى الحقيقي الذي يعانون منه الأمرين هو ذلك الانقطاع عن الثقافة الوطنية وذلك الحنين الدائم والشوق المتناهي إلى اللغة العربية".¹

1- مالك حداد، رصيف الأزهار لا يجيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، المطبوعات الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1965، ص:9.

06	مقدمة.....
06	مدخل.....
	الفصل الأول: مدخل الى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية
09	نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....
15	ابرز روادها
32	موضوعات الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....
34	اثر الثورة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.....
	الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لرواية ساهبك غزالة
39	التعريف بالكاتب
40	أعماله الشعرية و الروائية.....
53	مواقفه الإيديولوجية و السياسية.....
53	موقفه من الكتابة باللغة الفرنسية.....
57	موقفه من الاستعمار الفرنسي للجزائر.....
60	قراءة الرواية.....
64	دراسة البنية الفنية لرواية ساهبك غزالة.....
64	شعرية العنوان و رمزيته.....
68	شعرية المكان و رمزيته.....
74	الشخصيات الصحراوية
75	الشخصيات الاجنبية.....
79	اللغة.....
84	الخاتمة.....
86	المصادر و المراجع.....
90	الفهرس.....



جامعة المسيلة

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

شعرية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية سأهيك غزالة لمالك حدّاد نموذجاً

متّمة مكّلة لنيل شهادة ماستر لغة عربية و آدابها - نظام جديد -

تخصص: ادب جزائري

الميدان: لغة عربية و آدابها

إشراف الدكتور

بن لقرشي عمار

إعداد الطالبة

بجي سمية

تاريخ المناقشة: 2015/04/31

لجنة المناقشة:

- د. بركة ناصر

- د. زلافي ابراهيم

السنة الدراسية: 2014-2015

إهداء

إلى الوالدين الكريمين، اللذان كانا سببا في وجودي، إلى زوجي العزيز،
إلى ابنتي الغالية شهد ، إلى إخوتي إلى أخواتي، إلى أساتذتي إلى
زملائي وزميلاتي، وإلى كل الأهل و الأحباب، أهدي هذا البحث
المتواضع، راجية من المولى عز وجل أن يجد القبول و النّجاح.

سميّة بخي

الخاتمة

إنّ هذه الخاتمة ليست خاتمة لهذا البحث بقدر ما هي مجرد بداية متواضعة وبكلّ تأكيد, فبالرّغم من المجهودات المبذولة للإلمام بجلّ جوانب هذا الموضوع , إلّا انه موضوع واسع , ودون شكّ يحتاج الى إضافات و إيضاحات , ففي دراستنا هذه تطرّقنا الى شعريّة الرواية الجزائريّة المكتوبة باللّغة الفرنسيّة . و بيّنا ابرز رودها و اعمالهم الروائيّة , كما تطرّقنا الى اهمّ موضوعات هذا اللون من الوان الرواية , و التي اصبحت ظاهرة ادبيّة لها خصوصيّاتها الفنيّة و الفكرية , و قد عكست بالدّرجة الاولى تلك التّجربة الثقافيّة الخطيرة التي عاشتها الجزائر ابان الحقبة الاستعماريّة الغابرة من لدن مستدمر فرنسي جثم زمنا طويلا على ارض و شعب مستضعفين, مما تمخّض عليه ولادة كتّاب نطقوا و ابدعوا بلسان غير لسانهم بل و بلسان محتلهم . انبثق من خلالهم وجهة نظر جديدة مفعمة بروح التحدّي و التمردّ و الثورة , و على الرّغم من ان هؤلاء الكتّاب استعملوا لغة غير لغتهم لكونهم مرغمين على ذلك ولم يتسنّى لهم ان يجدوا خيارا اخر , بسبب التّعليم الاجباري الذي فرضته قيادات الاحتلال الفرنسي عليهم .

الّا انهم اخذوا اللّغة و احتفظوا بالعادات الثقافيّة , والتقاليد الدينيّة , فكانت كتاباتهم فرنسية اللّسان جزائريّة التعبير و المنطق , هذا ما نجده واضحا في اعمال مالك حدّاد, فقد ناقشت اعماله الادبيّة مشكلة الكاتب , و الكتابة , و الوطن كعيّنة من صراع الثقافة الجزائريّة مع الثقافة الفرنسيّة.

فرواية "سأهبك غزالة" قد قدّمت الشرق في إطار رومنسي, في اشارة الى الجزائر , تقابل بصورة فرنسا , التي تغطى عليها الماديّة , و الصورة لا انفصال لها عن السيّاق التاريخي الذي صدرت فيه الرّواية و هو سياق الاستعمار كحال وواقع , جعل المؤلّف في تذبذب بين الوطن و المنفى ولغة كل منهما , كما هو شأن و حال بقيّة المؤلّفين .

ومما سبق توصلنا الى نقاط نوجزها في التالي:

- إنّ الرواية الجزائرية فرنسية اللغة تعتبر من اسمى و ارقى رموز النضال الوطني الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ,ما يؤكّد وطنيّتها وينفي عنها الانتماء للأدب و الثقافة الفرنسية .
- إنّ الرواية الجزائرية فرنسية اللغة هي و لا بد من اجمل ما كتب ابّان تلك الفترة , في بنيتها و احداثها ,حيث يمكن ان تعتبر ايضاً ضمن الادب الرفيع الراقي.
- أنّها تمثّل لونا من الوان الكتابة في الادب الجزائري الذي يضيفى عليه خصوصيّة تميّزه عن باقي الآداب الاخرى .

خطة البحث

الفصل الأول: مدخل إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

• تمهيد

- 1- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
 - 2- ابرز روادها
 - 3- موضوعاتها
 - 4- اثر الثورة الجزائرية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية
- ### الفصل الثاني : دراسة تطبيقية لرواية ساهبك غزالة لمالك حدّاد

- 1- التعريف بالكاتب
 - 2- ابرز مؤلفاته
 - 3- دراسة البنية الفنية للرواية
- أ- ملّخص الرواية
- ب- شعريّة العنوان و رمزيّته
- ج- شعريّة المكان و رمزيّته
- د- الشخصيات
- ت- اللّغة

• الخاتمة

شكر و عرفان

اولا الشكر لله عز و جلّ وحده على التوفيق، كما أتقدم بالشكر الجزيل و التقدير إلى الدكتور بن لقريشي عمار على مجهوداته، وأيضا أتقدم بالشكر والعرفان إلى لجنة المناقشة، وكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، و أسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

بخيّ سميّة

مقدمة

خطة البحث

الفصل الأول: مدخل إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

• تمهيد

1- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

2- ابرز روادها

3- موضوعاتها

4- اثر الثورة الجزائرية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الفصل الثاني : دراسة تطبيقية لرواية ساهبك غزالة لمالك حدّاد

1- التعريف بالكاتب

2- ابرز مؤلفاته

3- دراسة البنية الفنية للرواية

أ- ملّخص الرواية

ب- شعريّة العنوان و رمزيّته

ج- شعريّة المكان و رمزيّته

د- الشخصيات

ت- اللّغة

• الخاتمة

• الفهرس

• قائمة المصادر و المراجع

الفصل الأول:

- مدخل إلى الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

- تمهيد

1- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

2- ابرز روّادها

3- اثر الثورة الجزائرية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية

الفصل الثاني :

1-دراسة تطبيقية لرواية سَاهِبِك غزالة لمالك حدّاد

2-التعريف بالكاتب

3-ابرز مؤلفاته

4-دراسة البنية الفنيّة للرواية

أ- ملّخص الرواية

ب- شعريّة العنوان و رمزيّته

ج- شعريّة المكان و رمزيّته

د- الشخصيات

ت- اللّغة

الخاتمة

الفهرس

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. احمد بن نعمان: الهوية الوطنية، الحقائق و المغالطات ،(د،ط)،شركة دار الامّة للطباعة و الترجمة و النشر و التوزيع ، برج الكيفان، الجزائر،(د،ت).
2. احمد بن نعمان، الهوية الوطنية، الحقائق و المغالطات،(د،ط)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،1998.
3. احمد دروغان: شخصيات من الادب الجزائري المعاصر ، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.
4. احمد منور : الادب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوّره و قضاياها ، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2007.
5. جمال الدين بن الشيخ ،معجم آداب اللغة العربية و الادب الفرنكوفوني المغاربي ،تر مصباح الصمد ،ط1 ، بيروت، امجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، 2008.
6. حفناوي بعلي: اثر الادب الامريكي في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، الجزائر ، (د،ط)، دار الغرب للنشر و التوزيع 2004.
7. ذويبي خثير الزبير: سيميولوجيا النص السردي، مقارنة سيميائية لرواية الفراشات و الغيلان، دراسة، مطبعة دار هوقة، ط1 ، اهل القلم المؤسسة، سطيف ، (د،ت).
8. سعاد محمد حضر: الادب الجزائري المعاصر، دراسة ادبية نقدية ، (د،ط)، منشورات المكتبة العصرية بيروت، 1967.
9. شكري غالي: ادب المقاومة ، (د،ط)، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970.
10. الطيّب ولد لعروسي: اعلام من الادب الجزائري الحديث ، (د،ط)، دار النشر الجزائر،2009.
11. عايدة اديب بامية : تطور الادب القصصي الجزائري ،تر محمد صقر، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1982.
12. عبد العزيز شرف: المقاومة في الادب الجزائري ،المعاصر، ط1 ،دار الجيل، بيروت، لبنان،1992.

13. عبد الله الركيبي : احاديث في الادب و الثقافة، (د،ط)، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع، الثقبّة، الجزائر 2009.
14. عبد الله الركيبي: حوارات صريحة، (د،ط)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، بوزريعة الجزائر، 2000.
15. عبد الله الركيبي: عروبة الفكر و الثقافة أولا ، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
16. عبد المالك مرتاض: فنون النشر الادبي في الجزائر، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983.
17. عربي دحو، دراسات و بحوث في الادب الجزائري الحديث، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
18. عمر بن قينة: أعمال و اعلام في الفكر و الثقافة و الادب -دراسة ، (د،ط)، منشورات دار الكتاب العربي، دمشق ، سوريا، 2000.
19. مالك حدّاد : رصيف الازهار لا يجيب، تر حنفي بن عيسى، (د،ط)، ديوان المطبوعات الوطنية الجزائرية، 1965.
20. مالك حدّاد: ساهديك غزالة، تر صالح القرمدي، (د،ط)، الدار التونسية للنشر و التوزيع، 1998.
21. مالك حدّاد، سَاهِبِكْ غَزَالَة تعريب صالح القرمادي ، الدار التونسية للنشر و التوزيع، 1988 .
22. محمّد الطّمّار : مع شعراء المدرسة الحرّة ، الجزائر سلسلة الدراسات الكبرى، (د،ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
23. محمّد بن سمينة: في الادب الجزائري الحديث، النهضة الادبية الحديثة، مؤثراتها، بداياتها، مراحلها، (د،ط)، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003.
24. محمّد قنّاش : المواقف السياسية بين الاصلاح و الوطنية، (د،ط)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1975.

25. نور سلمان :الادب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1981

26. واسيني الاعرج: إتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، بحث في الاحوال التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية ، (د،ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1989.

المراجع الاجنبية:

27. Jean Déjeux, la littérature algérienne contemporaine, 2e

.ed, coll, Que sais-je ?, Paris, France, 1979

28. Jean Déjeux, La littérature maghrébine langue française –

Introduction générale et auteursdk, Naaman, Sherbrooke, Guébek, Canada, 1973

الدوبات و المجلات

29. امين الزاوي: الرواية المغاربية ذات التعبير الفرنسي مجلة التبين ، الجزائر ، العدد 9، 1995،

30. وليد عثمانى ، شعيرة الفضاء و غواية الصحراء في الرواية الجزائرية مجلة المخبر العدد العاشر .

الشبكة العنكبوتية:

31. منتديات الساخر www.alsakhir.com , ملف الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية.

32. موسوعة الجزيرة www.aljazera.net/encyclopedia/.

33. ويكيبيديا :الموسوعة الحرة www.wikipedia.com

الرسائل الجامعية:

34. صليحة بردي :التأثيرات الاجنبية في ادب مالك حدّاد، إشراف عبد القادر توران، جامعة حسيبة بن بوعلي ،الشلف، 2011، رسالة ماجستير.

35. عبد القادر توازن : الجزائر في ادب البير كامو، إشراف صلاح خالص، جامعة بغداد، 1958، رسالة ماجستير .

36. علجيّة مرحوم، القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية - دراسة مقارنة - 1962 - 1935، إشراف اليافي نعيم، جامعة دمشق، 1987، رسالة ماجستير.
37. عمار كحلي : كتابة مالك حدّاد من منظور جمالية التلقي، إشراف دين عبد الله الاخضر، جامعة وهران، 1999، رسالة ماجستير.

مقدمة : إذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حين نقل إليها الطباعة و الصحافة و المجالس العلمية و نحو ذلك، فإنّه في الجزائر كان على عكس ذلك تماما، إذ لم يأت لينشر حضارة و إنّما جاء ليسلب أفكار الشعب، ويزوّر تاريخه و يحطّم كيانه ويستغل ثرواته وبذلك تعرّضت شخصية الأدب الجزائري الى هزات عنيفة كادت تفقدها كلّ المقومات و الملامح ، لأنها لم تستطع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العناد الذي جاء به الاحتلال في عنفوانه و انتقامه. ولم تستطع أن تطور ذاتها بالطريقة التي يفترضها تخطيط العدو وبرامجه في الهدم و التسلّط و إزالة المعالم القومية. لقد مثّلت الانتكاسة السياسية ثم الثقافية و الفكرية و الأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيوبية ، شعر فيها الإنسان الجزائري بالغبين و الانكسار المادي والمعنوي و هو ما شمل الكتاب و الأدباء الذين هم بطبيعتهم أكثر إحساسا بالمعاناة الوطنية بكل امتداداتها ، لكن مجموعة الأحداث الكبيرة التي ظهرت في الجزائر متّخذة من السياسة عنوانا ، ومن الوطنية شعارا و مستهدفة جمع الشعب تحت راية واحدة نحو تحقيق آماله في الاستقلال و الحرية هي التي أدّت إلى حركة نشطة في الأدب الجزائري سيّما الرواية .

وتعد الرواية من أبرز التغيّرات الفنية التي تعبر عن نضج الإحساس بالشخصية القومية و إحدى الأشكال الأدبية التي تصوّر انطباعات الكفاح و المعاناة بشكل يسجل هذه الشخصية و يبلورها و يحدد ملامحها و يبيّنّها و يخرجها إلى بؤرة الضوء حيث تنثري الحياة و تدعّمها و تؤكّد قيمتها ، وتبني فيها لبنات الأمل و خطوات المستقبل .و هذا ما نجده في الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية فالأوضاع السياسية التي عاشتها الجزائر المستعمرة هي التي تفسّر و تبرّر لجوء الكتاب الجزائريين إلى اللغة الفرنسية كأداة للتعبير في كتاباتهم ، حيث يتناولون في كتاباتهم قضايا الشعب الجزائري المختلفة. فهؤلاء الكتاب لم يقدموا أدبا له طابع المستعمر رغم استخدامهم لغة المستعمر ولكنهم فرضوا أدبا جزائريا حرا و متحرّرا. ووضع الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية يجب أن لا يعتبر مسألة يؤسف لها فكل من الأدبيين الفرنسي و الجزائري

قد استفادنا من الظروف التي كانت قائمة ، إذا اسهمت في إثرائها بالتبادل المباشر للأفكار و الأحاسيس و المشاعر، و كذا التفاعل بين الثقافة الفرنسية و التراث الجزائري العربي الإسلامي ،كلّ هذه قد تركت آثارا ايجابية على كل من الأدبين الفرنسي و العربي. وقد أكد النقاد الفرنسيون خلال القرن العشرين أهمية الإسهامات الجزائرية في الأدب الفرنسي ، فعندما تندمج الروح الشرقية الجزائرية بالثقافة الفرنسية التي يستخدمها الكتاب الجزائريون تكون النتيجة أدبا أصيلا ، فالأدب الجزائري مع ما له من خصائص عربية عديدة تميّزه عن آداب الأقطار العربية الأخرى ، فإنّ هذا التميز له آثاره السلبية على الأدب الجزائري، فالكتاب الجزائريون بسبب حاجز اللغة لم يكونوا قادرين على الوصول إلى مخاطبة شعبهم ما عدا قلة محددة إضافة إلى ذلك فإنّ الوضع السياسي السائد في الجزائر اضطرهم حذف أجزاء من كتاباتهم لا سيما تلك التي تنتقد السياسة الاستعمارية الفرنسية في بلادهم حتّى يضمن نشر هذه الكتابات .

و بالنظر إلى الأهمية التي تستحوذ عليها الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي أردت القيام بدراسة حول هذا الموضوع الثري، هادفة من خلالها إلى إبراز شعريّة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من خلال النموذج المختار "سأهبك غزالة" لمالك حدّاد ،و من اسباب إختياري لهذا الموضوع هو إبراز اهم الخصائص الفنية للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

أمّا المنهج الذي اعتمدت عليه في دراستي فهو المنهج الوصفي التحليلي ، وقد قسمت هذا البحث إلى فصلين . الفصل الأول تعرضت فيه إلى نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية مبينة فيه ابرز روادها و اثر الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي.

أمّا الفصل الثاني فقد خصّص لدراسة تطبيقية لرواية "سأهبك غزالة" من خلال تحليل شعريّة العنوان، شعريّة المكان، دلالة الشخصية...الخ.

و الواضح كما هو مألوف، فلا يوجد عمل يتم دون أيّ جهد أو تعب، و بدوري قد صادفتني في بحثي هذا صعوبات لا أقول أنّها عسيرة وصلت إلى حدّ المشاكل.

Conclusion

Conclusion

Par cette étude ; nous avons pu déduire que le roman Algérien rédigé en Français est un style littéraire qui a des particularités artistiques et intellectuelles qui le différencient des autres styles de roman car elle reflète la situation de la société Algérienne avec ses épreuves et ses souffrances avec le colonialisme impérialiste Français qui a souillé l'identité , la opinion et les richesses de toute une nation ; alors il a été combattu par des écrivains qui ont alloué leurs plumes contre ses méthodes d'occidentalisation ; alors ils ont dénoncé ses crimes chez lui et avec sa langue .

Le livre, « **Je t'offrirai une gazelle** », que nous avons pris comme exemple par notre étude en est le meilleur exemple qui analyse les la vie quotidienne des Algérien à cette époque.

C'est pour cela que ce roman écrit en langue Française est un phénomène linguistique, créatif et artistique unique qui attire l'attention du lecteur sur les souffrances d'un peuple qui vie sous l'occupation d'un colonisateur tyrannique ; alors ; elle est devenu un déclencheur d'une révolution modèle pour les autres nations opprimées à travers monde.

Alors ; ces plumes étaient des messages destinés à l'opinion universel généralement et Français spécifiquement. Alors ; elles avaient un impact très important et magnifique ayant un résultat très efficace.

ملخص:

من خلال هذه الدراسة توصلنا الى أنّ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية هي ظاهرة ادبية لها من الخصوصيات الفنية , و الفكرية ما يميزها عن غيرها من الروايات ,حيث عكست وضع و حال الأمة و معاناتها من استعمار غاشم مدنس لهوية وفكر شعب ناهب لثرواته .فجوبه من كتّاب رفعوا أعلامهم في وجه تغريبه و تخييبه ,ففضحوا جرائمه في عقر داره و بلسانه , و خير دليل كاتبتنا الذي تناولنا روايته "سأهبك غزالة" , التي اتى في ثناياها تشريح للواقع المعاش آنذاك. لذي فقد شكّلت هذه الرواية المكتوبة بالفرنسية ظاهرة لغوية , وابداعية فريدة من نوعها .جعلت من يطلّع عليها يقرأ جليا ما يكابده شعب يزرع تحت نير استعمار مستبد .فكانت هي و مثيلاتها إيذانا و بشيرا من بشائر التحرر و نموذجا يحتذى به لإيصال معاناة الشعوب في رسائل موجهة الى الرأي العام العالمي عموما والفرنسي خصوصا .فكانت لأقلامهم المُجبرة على الكتابة باللغة الفرنسية بالغ الاثر وجميل الوقع و نجاعة التبليغ.

Conclusion

Par cette étude ; nous avons pu déduire que le roman Algérien rédigé en Français est un style littéraire qui a des particularités artistiques et intellectuelles qui le différencient des autres styles de roman car elle reflète la situation de la société Algérienne avec ses épreuves et ses souffrances avec le colonialisme impérialiste Français qui a souillé l'identité , la opinion et les richesses de toute une nation ; alors il a été combattu par des écrivains qui ont alloué leurs plumes contre ses méthodes d'occidentalisation ; alors ils ont dénoncé ses crimes chez lui et avec sa langue .

Le livre, « **Je t'offrirai une gazelle** », que nous avons pris comme exemple par notre étude en est le meilleur exemple qui analyse les la vie quotidienne des Algérien à cette époque.

C'est pour cela que ce roman écrit en langue Française est un phénomène linguistique, créatif et artistique unique qui attire l'attention du lecteur sur les souffrances d'un peuple qui vie sous l'occupation d'un colonisateur tyrannique ; alors ; elle est devenu un déclencheur d'une révolution modèle pour les autres nations opprimées à travers monde.

Alors ; ces plumes étaient des messages destinés à l'opinion universel généralement et Français spécifiquement. Alors ; elles avaient un impact très important et magnifique ayant un résultat très efficace.

سيرة ذاتية

السيدة : بخي سميرة مولودة بتاريخ الثامن جانفي سنة ثمانية و ثمانون و تسعمائة و
الف ميلادية (1988/01/08) ببوسعادة .

زاولت دراستها الاولى بمدرسة عيسى بسكر ثم انتقلت الى متوسطة موسى بن
نصير ، واصلت دراستها الثانوية ب ثانوية الشريف محمد بن شبيرة ، و في سنة 2007
تحصلت على شهادة البكالوريا .

توجهت الى جامعة محمد بوضياف بالمسيلة تخصص لغة و ادب عربي ، لتتال
بعدها شهادة الليسانس سنة 2010 بمعدل 12.65 .

وفي سنة 2013 ، التحقت بالجامعة لمتابعة دراسة الماستر تخصص ادب جزائري .
و في سنة 2014 توظفت في مدرسة حديبي محمد كأستاذة مدرسة ابتدائية.

وهي اليوم بصدد مناقشة مذكرتها لنيل شهادة مكّلة لشهادة الماستر .